

روايات

ALHAN

الكان

مغامرات عاشق

١٤٠



www.zakawyna.com

مروية

ثمن النسخة

Canada	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	ل ٢٠٠٠	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	د ١٠	الإمارات	ل ٧٥	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	د ١	البحرين	د ١	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١.٥	تونس	ر ١٠	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	د ١	مسقط	ر ٦	السعودية

التقطت "كاميلا" أو "ميلي" - كما يدعوها اصداؤها - حافظة نقود كينيث هولوييني "التي سقطت من جيب معطفه الأنيق دون أن يدري . أوقفه صياحها أمام باب سيارته الذي كان يفتحه تمهيداً للانطلاق بعيداً عن تلك البقعة .

لم تقبل المبلغ الكبير الذي قدمه لها تعبيراً عن شكره ، فما كان منه إلا أن طلب عنوانها حتى يمكنه في وقت ما أن يكافئها عن هذا التصرف النبيل .

عادت "ميلي" إلى بيتها في وقت متأخر من تلك الليلة لتفاجأ بوجود هذا الرجل الوسيم بداخل شقتها ... لكن بسبب مختلف تماماً .

شخصيات الرواية

كينيث هولويني "كين" : بطل الرواية ، رجل الأعمال الثري المعروف.

كاميلا او "ميللي بليك" : بطلة الرواية ، إخصائية التغذية المدرسية والعضو المتطوع للخدمة بإحدى الإرساليات الخيرية .
"ولتر بويلين" : المليونير المعروف ، والد "كينيث" الذي تخلى عنه في طفولته .

"الان مورلاند" : المسؤول الإداري بمجموعة منشآت "بويلين" .

"جيسي إيرلي" : مخبر سري .

الغلاف الأمامي

عادت "ميللي بليك" إلى بيتها في المساء تحت دوي صفارات الإنذار وآلات تنبيه سيارات الإطفاء لتتبين أن باب شقتها لم يكن مقفلاً . رأت أن كل شيء باق على ما كان عليه . توجهت إلى الحمام ومدت يدها إلى زر الإضاءة فرات الرجل . لم تمض ثانية حتى تعرفت على بريق العينين الزرقاوين والملامح الوسيمة لذلك الثري الذي كانت قد التقت به منذ بضع ساعات معدودة . قبض عليها مكمما فمها بإحدى يديه وشاهرا مسدسه في وجهها باليد الأخرى ...

- اسمحي لي بالاختباء عندك . لم أقصد إثارة الرعب في نفسك ..
الشرطة ...

واشدت القرع على الباب :

- نحن من شرطة الحي يا أنسة "بليك" . جريمة قتل قد ارتكبت بطريق "بويلين" . نشك أن القاتل مختبئ في مكان ما من هذه البقعة . هل أنت بمفردك تماما ؟

- نعم . باستثناء قططي الثلاث .

- لا . شكرا لك . ليس الليلة . الجو رهيب .

خرجت مع صديقتها من فتحة أحد أبواب الخروج وارتدت قفازيها وفجأة ظهر أمام 'ميللي' ظل رجل لم تستطع رؤية ملامحه . رآته يتعثر ثم يستعيد توازنه برشاقة بالغة قبل أن يختفي تماما في الضباب الكثيف . كان شيء ما قد سقط من جيب معطف المطر الذي ارتداه وبدأ مثل بقعة قاتمة اللون فوق الأرض المكسوة بطبقة من الجليد ناصع البياض .

قالت 'كلير' وهي تبعد عن صديقتها :

- إلى لقاء قريب يا 'ميللي' .

- تصبحين على خير يا 'كلير' .

ربت على تحية صديقتها وهي تدبر وجهها نحوها من فوق إحدى كتفيها بينما كانت تسير بسرعة في الاتجاه الذي كان ذلك المجهول قد اختفى فيه . التقطت في طريقها نحوه ذلك الشيء الذي كان قد سقط منه وكان عبارة عن حافظة نقوده الزاخرة بأوراق النقد وأخذت تصيح بأعلى صوتها .

- يا سيد ! يا سيد !

أصبحت شديدة القرب منه ورائه يتأهب لفتح باب سيارته . التفت إزاء صياحها فرأى شكلا بشريا انثويا يلوح بذراعه نحوه :

- لقد سقطت منك حافظة نقودك .

رفع الرجل يده إلى جيبه وقال متعجبا :

- اللعنة ! لم أشعر بها وهي تسقط ... وأشكرك .

تأمل العينين البنيتين باهتمام بينما وقفت المرأة الشابة أمامه تماما تلهث وقد توردت وجنتاهما على أثر العدو حتى تتمكن من اللحاق به . قال :

- اسمي 'كين هولويني' .

- نعم . أعرفه .

أشارت بيدها إلى المبنى الذي كان الاجتماع قد عقد فيه . وبدأ عليه

الفصل الأول

لم تزل قاعة النادي الفسيحة تدوي بأصوات الاحاديث المتبادلة بين بعض الحاضرين في الوقت الذي بدأ بعض المدعوين فيه يتوجهون نحو باب المغادرة . حقق الحفل نجاحا ساحقا .. تحدث الخطباء فيه بطلاقة وهم يعرضون مشروعاتهم الهادفة إلى الارتقاء بمستوى المدينة .

تابعت 'ميللي بليك' - بصفتها عضوا في جمعية الحفاظ على الحدائق وعضوا في جمعية اصدقاء المكتبات - تلك المناظرات ببالغ الاهتمام . وأصبح واجبا عليها الآن أن تعود إلى بيتها .

ارتدت معطفها الصوفي الأزرق وخرجت لمواجهة الليل .. وكانت ليلة قارسة البرد من ليالي شهر ديسمبر . تساقطت فيها ندفات الجليد متراقصة في أضواء المصابيح بينما غرقت ساحة انتظار السيارات في الضباب الكثيف .

قالت 'كلير ريني' تقترح عليها :

- ما رأيك في أن نذهب إلى السينما ؟

انه لم يتذكر من كانت على وجه التحديد رغم أن الجميع يعرفونه ، فهو مالك واحد من اكبر المجمعات الصناعية بالمنطقة .
- اسمي "ميللي بليك" .

لم يقع بصرها قط على رجل على هذا القدر من الوسامة والجمال .
بدا بعينه الزرقاوين القاتمتين وشعره البني المتزوج بقدر طفيف وشفتيه المحدبتين بدقة وكأنه النموذج المثالي لعارض الأزياء البالغ حد الكمال الذي يستخدم للدعاية للسيارات الرياضية . أخرج عددا من أوراق النقد التي بحافظته وقدمها إليها :
- اسمحي لي بأن أقدم لك هذه .
- أه . لا ! هذا مستحيل .

ابتسمت "ميللي" إزاء الإحساس الذي غمرها على أثر تلامس أصابعهما وعلى نحو تلقائي ، وكما تفعل في كل مرة تحتويها فيها المشاعر . رفعت يدها إلى وجنتها حيث كانت ندبة جرح قديم .
قالت :

- لا أريد نقودا . وجدت حافظة نقودك واعدتها إليك . ولا بطولة في ذلك .

- كيف ! كان بوسعك الاحتفاظ بها . كثيرون كانوا سيضعونها في جيوبهم إذا وجدوها . دعيني أعبر لك عن شكري .

- لقد قدمت لي شكرك بالفعل .

فقال وهو يغلق حافظة نقوده :

- حسنا جدا . اعطيني عنوانك إذن .

كم كان صعبا عليها أن تنتزع نظرتها من عينيه عميقتي الزرقاء ونظرته الجريئة الدافئة في ذات الوقت ! استجمعت "ميللي" شجاعته لتجيبه :

- فوق رابية السناجب .

كان هناك عدد من الروابي المتباينة الارتفاع بشمال "كولورادو" مدينته كذلك . كان العنوان الذي أعطته إياه غامضا ! لذا لم يتردد كين

هولوويني في أن ينبهها إلى ذلك على الفور وقد لاح شعاع عبث بعينه :

- ألا يمكنك أن تخبريني بعنوانك بقدر أكبر من الدقة ؟

- المنزل رقم ١٠ طريق الثلوج .

قالت ذلك دونما تردد بل وبذات الفورية التي كانت تجيبه بها . لو أنه سألها عن رقم هاتفها أو عن عمرها أو وزنها أو أية تفاصيل أخرى : فماذا ستفعل ؟ . لأنه مما لا شك فيه طلب معرفة عنوانها حتى يرسل إليها بعض الزهور .

قالت بنبرة رقيقة :

- تصبح على خير .

تصبحين على خير وأكرر شكري لك .

دخل سيارته اللينكولن الفارهة وعادت "ميللي" أدراجها متنهدة أسفا لأن هذا الحوار الموجز مع كين قد غمر قلبها بالدفع ! لذا أحست بخسارة فاحشة أنه قد انتهى بهذه السرعة ! حينما سارت مسافة بضعة أمتار توقفت سيارة بجانبها . أطلت "كلير" منها وهي تفتح بابها قائلة :

- هيا بنا نتناول البيتزا بمحال "تونيو" .

- وهو كذلك لكنني لا أريد أن أتأخر عن العودة كثيرا .

- اعتمدي علي في ذلك . تعالي معي إلى ساحة الانتظار حتى يمكنك أن تستقلي سيارتك بعد تناول العشاء .

في اللحظة التي جلست "ميللي" فيها بجوار صديقته مرت أمامها السيارة "اللينكولن" السوداء الفاخرة .

استقلت سيارتها الرينو الصغيرة في وقت لاحق من ذلك المساء متوجهة إلى مسكنها وسط الضباب الكثيف ، حيث كانت الرؤية تكاد تنعدم . وأضاءت مصابيح سيارتها الأمامية جذوع أشجار الصنوبر الباسقة على جانبي الطريق . جرت السيارة البالغة من العمر ست سنوات لاهثة في الظلام شبه الدامس . قادت "ميللي" سيارتها بتان لا

يشوبه خوف لأنها على علم بجميع منحنيات هذه الرابية . أحست في تلك الأثناء بأولى وخزات القلق عندما سمعت دوي صفارات إنذار .

واصلت طريقها دون أن تلاحظ شيئاً غير عادي . تناثرت المنازل من سفح الرابية حتى قمته . بعضها فاخر يضم حمام سباحة والبعض الآخر متواضع مثل بيتها . كما كانت هناك بعض الأكواخ الخاصة بعدد من المصطافين الذين يقصدون هذه المنطقة بهدف الاستمتاع بجوها الرائع وقضاء بعض الوقت في صيد الأسماك .

عندما أوشكت 'ميللي' على الوصول إلى بيتها فهتت سبب انطلاق تلك الصفارات ، فقد تصاعدت السنة النار البرتقالية من فوق مظلة كثيفة من الدخان الأسود مشيرة إلى أن حريقاً قد اندلع بأحد المنازل . وحيث إن سيارات الإطفاء كانت قد وصلت إلى موقع الحريق رأت أنه لا ضرورة للمساعدة من جانبها . ظهرت معالم بيتها بعد فترة وجيزة . ألقت نظرة خاطفة على امرأة الرؤية الخلفية فعلمت أن الطريق خال وأنه بوسعها دخول الممر الخاص ببيتها . رأت في تلك اللحظة أيضاً على صفحة المرأة وجهها بملامحه الرقيقة وعينيها البنيتين المتسعيتين تحفهما الأهداب القائمة وتلك الندبة الواضحة على وجنتها .

غادرت الجراج الخصوصي . كان 'فويو' يستقبلها عادة وهو يقفز مرحاً فرحاً برؤيتها لكنها كانت قد اضطرت إلى أن تأخذه إلى الطبيب البيطري وبذلك سوف تفتقد صحبته عدة أيام ، وإن كان غيابه لم يصبها بأي قدر من الخوف . فقد تعلمت 'ميللي' مالكة هذا العقار على مدى عامين كاملين : كيف تتغلب على كافة المخاوف التي لا أساس لها ؟ قطبت حاجبها عندما تبينت أن مزلاج الباب لم يكن مقفلاً . هل كانت مشغولة الذهن إلى حد مغادرة البيت دون أن تغلقه بالعناية اللازمة ؟ خفق قلبها بشدة . دخلت وأضاءت المصابيح . بدا كل شيء عادياً هادئاً تماماً . لا شيء ناقص ولا شيء في غير موضعه . وفي أحد أركان المطبخ قبعَت القطط الثلاث الصغار في سلتها حيث بدأت تموء

عندما رأتها تقترب ثم هدأت تماماً بعدما ربت فراءها . سمعت بعد ذلك قعقة مدوية بددت الصمت لم تعرف مصدرها . قالت مزمجرة :

- أيتها الشياطين الثلاثة . ينبغي عليكم حمايتي لا إزعاجي بضوضاء غريبة .

أحست 'ميللي' بارتعاد داخلي وهي تتوجه إلى حجرتها . لا شيء تغير في هذه الحجرة الجميلة ذات الستائر المزينة بالورود . خلعت 'ميللي' ثيابها وهي تتشد بصوت عال ثم ارتدت قميص نوم وردي اللون . ارتعدت مرة ثانية إذ سمعت ضوضاء أخرى عالية وبوت صفارات الإنذار في أنفها في ذات الوقت من موقع قريب جداً منها . توجهت 'ميللي' إلى الحمام في حالة اضطراب شديد .

دفعت الباب وعلى نحو تلقائي مدت يدها إلى زر الإضاءة . وهنا رأت الرجل ! كان في مواجهتها تماماً .. ساكناً في مكانه وعلى الرغم من الظلام المخيم على الحجرة أمكنها تحديد صورة خياله . وإذ فهم أنها لابد أن تصيح تقدم بمقدار خطوة نحو الامام مطوقاً إياها بإحدى ذراعيه وواضعا يده فوق فمها . لم تمض ثانية واحدة حتى كانت 'ميللي' قد تعرفت على بريق العينين الزرقاوين وعلى الملامح الرجولية الوسيمة لذلك اللص . أمسك بيده الأخرى مسدداً . قال بصوته العميق :

- أرجوك .. اسمحي لي بالاختباء لديك . لم أرغب في إخافتك... الشرطة !

ومن بين صيحتين من صفارة الإنذار دوى رنين ناقوس الباب بإلحاح غير عادي تبعه قرع شديد متواصل على الباب كاد أن يحطمه . أطلق 'كين هولويني' أسيرته محدثاً إياها في أذنها :

- يعتقدون أنني قد قتل أحد الرجال ، لكنهم مخطئون في ظنهم . لأنني لم أقتل أحداً . ساعديني أرجوك .

اشتد القرع على الباب ولم يوح 'كين هولويني' بمظهر مطمئن حتى بعدما وضع سلاحه فوق المنضدة . احتفظ معطف المطر الأشعث الذي

كان يرتديه باثار موحلة والتصقت به بعض بقايا اوراق الاشجار .
اضاء النور المنبعث من حجرة نومها وجهه كاشفا عن جرح بذقنه .
لم تتصرف "ميللي" وفقا لذكائها بل بما املاه عليها عقلها . شيء ما
بهذا الرجل اوحى اليها بالثقة به بغض النظر عن مظهره المثير للقلق
والاضطراب . استسلمت لعقلها واغمضت هو عينيه ارتياحا .
- اريد الروب ...

خلعه من فوق المشجب واعطاها إياه ثم ساعدها بعد ذلك على
ارتدائه . اسرعت عندئذ تفتح الباب حيث وجدت ضابطين عند عتبة
الباب .

- نحن من شرطة الحي يا أنسة "بليك" . اسفون لإزعاجك في هذه
الساعة المتأخرة . إنني العريف "ويليز" وهذا الضابط "اكينز"
- ما الذي حدث ؟ سمعت صفارة الإنذار ...

- جريمة قتل اقترفت بطريق "يولين" ونشك في ان القاتل مختبئ في
هذه الناحية . ألم يقع بصرك على أي إنسان مشتببه فيه؟
- نعم . لم أر أحدا على الإطلاق .

- أنت بمفردك تماما ؟
- نعم . باستثناء قططي الثلاث .
قالت ذلك مملية على نفسها ان تبسم .

- نرجو ان تكوني حذرة يا أنسة "بليك" . تاكدي من ان جميع
النوافذ والابواب مغلقة جيدا . الرجل الذي نحدثك عنه مسلح ويمثل
خطرا على الآخرين .

اطلعتها الضابط اكينز على صورة فوتوغرافية لرجل ثم سالها:
- هل تعرفين هذا الرجل ؟

كان من السهل عليها ان تذكر اسم الرجل على الفور بعدما رأت
ابتسامته المشرقة وعينه الزرقاوين نصف المغمضتين وجبينه
العريض من تحت شعر بني متموج ... لكنه كان ابعد ما يكون عن ذلك
الهارب المنهك المختبئ بداخل الحمام .

هزت "ميللي" راسها نفيا :

- لا اعرفه . لكن لا يبدو عليه انه قاتل .

فاجابها الضابط وهو يعيد الصورة الفوتوغرافية إلى جيبه :

- إذا سمعت ضوضاء او أية اصوات أخرى تثير شكوكك فلا
تتردد في الاتصال بنا يا أنسة "بليك" . فرضنا حصارا حول الرابطة
وسوف نقوم بحراسة الموقع حتى مطلع الفجر بحيث لا يستطيع
الرجل الفرار من ايدينا . ينبغي ان يكون هذا معلوما لك . والآن وقد
رايت صورته ينبغي ان تكوني غاية في الحرص والاستعداد للتصرف .
- تاكد من هذا .

- هل تسمحين لنا بتفتيش الحديقة ؟

- بالتأكيد .

ابتعد رجلا الشرطة وتساءلت "ميللي" : ألم ترتكب حماقة بإخفاء
هذا الرجل ؟ جريمة قتل . ليس لها ما تدافع به عن نفسها ضد هذا
القاتل المفترض ومع ذلك - وبغض النظر عما يمكنه ان يفعله - فإنها
تري انه لا يمثل أي خطورة عليها .

وقف ينتظرها مستندا إلى جدار حجرة المعيشة ، ظهرت خدوش
وجهه بوضوح وجعلت تمرقات معطف المطر المغطى بالبقع مظهره أكثر
إثارة للقلق عن ذي قبل ، حتى لم يعد يشبه الشاب المثير الذي ظهر
بالصورة الفوتوغرافية من قريب او بعيد . قال مقترحا عليها :

- ينبغي عليك ان تضيئي جميع الحجرات كما لو كنت تتحققين من
ان احدا لم يدخل بيتك .

سمعا في ذات اللحظة التي نطق فيها بهذه الكلمات رجلي الشرطة
يتحققان من ان الباب الخلفي للشقة لم يفتح عنوة . ودون ما انتظار
لان يرحلا اضاءت "ميللي" جميع حجرات البيت مستشعرة وجود
الرجل الذي كان يتبعها خطوة بخطوة دون إحداث أي صوت . عادا
بعد ذلك إلى الرواق الذي احتلت شجرة عيد الميلاد بكامل زينتها
وسطه وقد تجمعت الهدايا المغلفة عند أسفلها .

قال كين :

- لقد أسديت لي خدمة عظيمة سوف أردها لك يوما ما . لكنني أريد أن أطمئنك قبل كل شيء آخر أنني سوف أرحل من هنا بمجرد أن يخلو الطريق منهم . وإن كنت أخشى أنك قد لا تحتملين وجودي في الفترة القادمة ولحين أن يصبح رحيلي ممكنا .

أومات 'ميللي' براسها مكتفية بأن تقول :

- إنك مصاب .

- لا خطورة . سقطت أثناء فراري لكنني أصبت في ظهري وفي صدري .

ثم رفع معطف المطر فظهرت بقعة دم كبيرة على قميصه .

- إنني بريء .

ركز بصره عليها مترقباً إدانة من جانبها لكن 'ميللي' لم تجب بشيء . فقد قرأت في عينيه الزقاوين صدقا لم يسعها معه مقاومة رغبة في معاونته . بل وعاهدت نفسها على أن تكون حليفة له حتى آخر العمر .

- إنني كين هولويني إذا كنت لا تتذكريني .

- ما نسيتك يا سيد 'هولويني' . وأنا 'ميللي بليك' .. هل تذكر...؟

أعجبته نبرة التهكم التي رأت أن تحدثه بها . فضحك للمرة الأولى . بالسحره على الرغم من مظهره المهمل ووجهه الشاحب وعينه الذابلتين !

- هيا إلى الحمام حيث يمكنك العناية بنفسك وتطهير جراحك .

ظل يتأملها كما لو لم يكن قد فهم مغزى كلماتها . رأت في أسلوب نظره إليها اتجاه تفكيره فأحست بانوثتها . أزعجها هذا الإحساس الذي لم تتعوده والذي كان مفعما - على نحو أو آخر - بالمخاطر غير المحسوبة .

قالت بإصرار وقد امتدت يدها إلى النذبة التي بوجنتها :

- أرجوك ...

مرت قبله حتى تدخل حجرة نومها وتشير له إلى باب الحمام . تبعها وعندما بلغ الممر خلع معطف المطر والصدر ورباط العنق . كان طويل القامة قوي البنية عريض المنكبين نحيل الخصر . عندما بدأ يحل أزرار قميصه حولت 'ميللي' بصرها عنه ثم غادرت الحمام حتى تاتيه بمنشفة وبرية .

- في خزانة الأدوية والعقاقير سوف تجد بعض مستحضرات التطهير والضمادات اللاصقة والأربطة وكل ما يلزمك باختصار .

- شكرا .

تلامست أصابعهما بينما كانت تناوله المنشفة فأحست وكان تيارا كهربائيا قد سرى في جسدها . أرادت أن تغادر الحمام حتى تلوذ بالفرار منه لكن جسده الضخم عاق طريقها وحال دون ذلك . لم يبد عليه أنه كان يعني تعويقها . قال هامسا :

- لا تخافيني .

- لا . لا ... لكن دعني أمضي .

ابتعد عن طريقها وعادت إلى حجرتها . سمعته يقسم على الفور تقريبا ثم ناداها :

- هل يمكنك مساعدتي في العناية بجراح ظهري ؟

أحست بأنها مضطرة إلى مساعدته رغم عدم رغبتها في ذلك . بدأت تضغط بالمنشفة على الخدوش التي بدأت من عظام الكتفين وامتدت نحو الكليتين . بدا جلده أسمر مشدودا تحت راحة يدها في الأماكن البعيدة عن هذه الجراح . قال مكررا بحزم :

- لست قاتلا لكن الظروف أوقعتنني في شرك ما ...

- الجرح في هذا المكان أعمق مما تصوره . أرى أنك بحاجة إلى عدد من الغرز الجراحية .

- لا داعي لذلك . إنني في تماها الصحة وفي غضون بضعة أيام سوف ينتهي كل شيء .

- أرى أنه مادمت بريئا ينبغي عليك أن تذهب إلى قسم الشرطة

وتحيطهم علما بملايسات الموضوع .

اتجه وجهه نحو الضوء وهو يثبت ضمانة حول يده فلحظت طول اهدابه التي كانت كثيفة متموجة ايضا .

- لا مجال لتصرف كهذا . لن يصدقني رجال الشرطة . لكن لا تخافي يا أنسة "بليك" اؤكد لك أنك لن تندمي على أنك قد ساعدتني إذا وافقت على معاونتي .

احس بأنه لا ينبغي عليه أن يناديها باسمها الاول لأنه على الرغم من الرقة التي أظهرتها نحوه شعر بوجود حاجز قوي بينهما .
قالت بنبرة رزينة :

- سافعل كل ما بوسعي لكنني لست بحاجة لأن تشعر أنك مدين لي بالجميل بسبب ذلك يا سيد "هولوويني" .
فقال مصوبا :

- "كين" .

تأمل صورتها على صفحة المرأة . رأى كم كانت جذابة بهذا الشعر البني الكثيف الذي امتدت اطرافه حتى خصرها ووجهها الشاحب الصغير الذي خلا من كل آثار مستحضرات التجميل . رأى ايضا ذلك الخط الاحمر الذي ظهر على وجنتها اليمنى من الصدغ إلى الأنف وكيف بدت في روبها - الازرق البسيط الذي خلا من الخطوط اللامعة ومن خطوط الزينة الأخرى - قمة في الاناقة والجاذبية .

عندما رفعت "ميللي" رأسها التفت بنظرة "كين" على صفحة المرأة . فتورد وجهها خجلا . بدت له وكأنها قد قدمت من عصر قديم يجمع بين الانذار ولحاح الوحشية والخوف . لكن تغلب عليه الصفات التي يملئها القلب وإلا لما اغاثته بهذه البساطة . اشتتم رائحة عطرها الرقيق لأنها كانت واقفة من خلفه في وضع من القاهب وبيدها قطعة

قطن ماص . قال بنبرة أمرة :

- هيا . طهري هذا الجرح البعيد عن متناول يدي .

من المؤكد أنها تخاف الرجال لأنه شعر بأنها شبه مشلولة الحركة .
- أي !

فارتقت هذه الصيحة شفتيه على اثر ملامسة السائل البارد جسده .
قالت متلعثمة :

- لكن أنت الذي طلبت مني ذلك ...

- استمري .

- يمتد الجرح إلى ما تحت الحزام . اعتقد أنه بإمكانك تطهيره بنفسك بهذا السائل المضاد للالتهابات .

- يستحيل عليّ لي عنقي وعضلاتي على هذه الحال من الرضوض .
هيا يا أنسة "بليك" . واصلني عملك .

- حسنا .

ويتصميم دهشت له هي نفسها وضعت "ميللي" القطنة المبللة بالسائل تحت الحزام بالضبط غامرة بها الجرح المفتوح . لم يستطع كبح تنهد من بين فكّيه المضمومين . اعتبرها فطنة هذه المخلوقة المذهلة .

عندما هذا إحساسه بالحرق التفت نحوها بقدر طفيف ضاحكا وواضعا يديه على كتفيها . رأى التورد يصعد إلى وجنتيها وشعاع ضوء يتقد في عينيها . لشدة دهشته احس بالاضطراب وبأنه مأخوذ بفعل سحرها كما لو كان رباط خفي قد عقد حولهما . احس بأن النظرة الجادة لعينيها البنيتين قد تغلغلت في عمق روحه . سالها :

- هل تولين الآخرين ثقتك بمثل هذه البساطة ؟

هزت رأسها نفيا ببطء شديد فقال مستطردا وهو يتشدد باسمها :

- "ميللي" ما اسمك الحقيقي ... "ميلليسانت" ؟

- "كاميلا" .

- "كاميلا" ...

مزق صوت تشغيل محرك سيارة الصمت من حولهما . سمعا صوت سيارة الشرطة تبتعد . تركته "ميللي" عائدة إلى حجرتها . تبعها إلى خارج الحمام علما منه بان وجوده يسبب لها اضطرابا . تأمل بعبث أسلوب تلافيها النظر إلى صدره العاري .

- هل ترغبين في أن أقص عليك الظروف التي قادتني إلى منزلك ؟

تحدث بنبرة جادة مترقبا رد فعلها وهو يضيف :

- أصبحت الآن شريكة لي .

الفصل الثاني

هي شريكة في جريمة قتل ؟ كيف يمكنها أن تتصور مثل هذا الوضع الغريب !

قال :

- أود أن أقص عليك بالتفصيل : كيف تورطت في هذه المأساة؟ هل

تصغين إلي ؟

- بالتأكيد . لكن ألا تحب قرح قهوة أولا ؟

- أكون شاكرا . اليس لديك مشروب أقوى تقديمينه لي ؟

- للأسف لا .

- القهوة مناسبة جدا إذن .

- اتبعني إلى المطبخ .

ارتدى قميصه أثناء سيره لكنه لم يقفله إلا إلى النصف . لغت انتباهه على الفور السلة المحتوية على القوط الثلاث .

- من أين أتيت بهذه الحيوانات الصغيرة ؟

- وجدتتها ضالة بالشارع ولم فتوفر لدي الشجاعة الكافية لأن أتركها

وشانها . لكنني نجحت في أن عهدي إلى بعض الأصدقاء بثلاث منها .
مد "كين" يده ليفتح الباب المطل على الحديقة لكن "ميللي" استبد بها
القلق :

- هل تعتقد أن الشرطة قد اقتفت أثرك حتى منزلي ؟
- لا . ولا حتى كلب يمكنه العثور عليّ في وجود هذا الكم من الثلوج .
نظرت إلى قدميه على الفور فرات أنهما مبتلتان كما لو كان قد سار
في مكان موحل . قال موضحا :

- همت على وجهي طويلا قبل أن أصل إلى بيتك . وعندما تبينت
أنك متغيبه فتحت الباب عنوة . مزلاج الباب ضعيف جدا .
- هذا صحيح . لكن عادة لا أخشى شيئا لأنني أعيش في حراسة
كلبي . لكنه الآن نزيل لدى الطبيب البيطري .

جلس "كين" يراقب حركتها وهو يعلم تمام العلم أن نظراته عليها
تصيبها بالاضطراب . لكنها اثارته فيه الفضول . إن أصابعها طويلة ،
نحيلة ، رقيقة . وعندما تأمل وجهها أحس بوخز تعاطف بسبب تلك
النذبة التي ما من شك في أنها سبب خجلها . تساءل : كيف بدت من
خلف هذا الروب الذي ارتدته ؟

- أين تعملين ؟

- إنني إخصائية تغذية بالمركز المدرسي . أنا التي أعد وجبات
فصول الصغار . وفضلا عن ذلك أخصص بعض وقتي للإرسالية هل
تحب أن أسخن لك هذه الفطائر ؟ لن يستغرق ذلك أكثر من دقيقة
واحدة .

- أشكرك لذلك .

- ما حقيقة تلك الإرسالية التي تتحدثين عنها ؟

- أنشأتها جماعة القديس "بولس" من أجل من لا مأوى لهم والذين لا
عمل لهم والمعوزين .

لم يكف عن النظر إليها من خلال عينيّه شبه المغمضتين . انتهت
"ميللي" مسرعة من إعداد القهوة وتسخين الفطائر . جلست قبالتها

فاشتم رائحة عطرها المنعش الذي بدا وكأنه خليط من الورد وزهور
التفاح .

قالت وهي ترمقه بنظرات عينيها البنيتين الواسعتين :

- ينبغي عليك أن تقص عليّ تفاصيل الأحداث التي وقعت كما
عايينتها .

- هذا صحيح . سوف أحاول أن أكون موجزا في روايتي . لك جار
على هذه الرابية ... السيد "ولتر بويلين" .

- أعرفه . جميع من هنا يعرفونه . إنه مليونير .

تلوى وجهه في ابتسامة غامضة لسماع هذه الكلمة . لم تلحظها
"ميللي" التي واجهت صعوبة جمة في الإبقاء على هدوء أعصابها أمام
ذلك الصدر الذي كشف عنه القميص شبه المفتوح . وضع ذراعا على
مسند مقعده ممددا ساقيه الطويلتين أمامه مما أوحى بأنه يشعر
بتمام الارتياح والاسترخاء وأنه ليس ثمة ما يقلقه بحيث بدت "ميللي"
وكانها واحدة من مدعويه وليست مالكة هذا البيت . كانت تلك اللحظة
مقلقة لها إلى حد بعيد خاصة أن بصرها لم يقع من قبل على رجل في
مثل بهاء طلعه .

كيف يمكنها التركيز على حديثه بهذا الصوت العميق خاصة وأنها
على هذا الحد من القرب من وجهه ذي القسمات الكلاسيكية الجذابة
الذي تضيئه زرقه عينيّه المذهلتين ومن صدره الرجولي الجذاب الذي
يعرضه غير مبال ؟

احست - وهي تعالج جراحه من لحظات مضت في كل مرة لمستة
أصابعها - بمثل تيار كهربائي شديد يسري فيها ، والأكثر من كل ذلك
أنها شعرت بأنه مدرك تأثرها بجاذبيته .

عندما رفعت بصرها رآته يرمقها بنظرة ساخرة متألقة وأنه قد
توقف عن الحديث ، فقالت تحثه على مواصلة وقد كست وجنتيها
حمرة عميقة :

- كنت تقول ... ؟

فسالها متهكما :

- لمر ما آخر كلمة سمعتها ؟

سيطرت على أعصابها وقالت بهدوء دون تردد يذكر :

- لا تؤاخذني فقد شردت أفكاري . فانت نموذج جميل للرجل .

ذهل بدوره . ارتفع حاجباه وخشيت هي أن يكون قد اعتبر مجاملتها هذه دعوة .. أسرعت تقول :

- أريد أن أعرف سبب بحث الشرطة عنك .

كاثف نراعيه فوق صدره بينما شغلت هي بإخراج بعض الفطائر من الفرن .

- كان هدفي الحصول على مؤسسات 'بويلين' لكن بعد مناقشات استغرقت عدة أيام لم نتوصل إلى إبرام عقد بيننا ... 'وولتر بويلين' وأنا . وكان من الغريب جدا أن يتصل بي هاتفيا يوم أمس طالبا مني المجيء إليه في بيته هذا المساء . مم ... فطارك هائلة !

- يسعدني أنها تعجبك . أتريد قليلا من القشدة في قهوتك ؟

- لا ، شكرا .

ارتدت روبا منزليا محتشما بل قريب الشبه بمعطفه الأزرق لم يشعر 'كين' بوجودها رغم قربها الشديد منه أثناء اعتنائها بجراحه لأن أعصابه كانت في حالة توتر شديد وروحه في ضيق بسبب الخطر المحقق به . أما الآن فكان اهتمامه متزايدا بهذه الشابة التي أسدت إليه كل هذه المساعدة والتي تتقن الطهي .

- فطارك لذيدة جدا .

- شكرا لك ، فانا أهوى الطهي .

دهش لهذا القول لأن ولا واحدة من بين من يعرفهن من النساء تعرف كيف تعد مرقا أو تقلي فطيرة .

- عندما وصلت إلى منزل 'بويلين' لم يجب أحد . دفعت الباب الذي لم يكن مغلقا بالمزلاج وبخلت . عندئذ هاجمني شخص ما من الخلف وضربني على رأسي ففقدت الوعي . وعندما أفقت رأيت 'بويلين'

طريحا على الأرض مصابا برصاصة وكان المسدس بيدي .

- ذلك الذي شهرته في وجهي ؟

- نعم .

فحصت وجهه من فوق قذح قهوته ولم يبد عليها أنها قد اقتنعت لذا

قال لها :

- لقد قلت لك حقيقة ما حدث . ساعديني ولن تندمي على ذلك .

قالت بهدوء :

- لو علمت أنك لم تكذب عليّ فسوف أساعدك . ولست محتاجة إلى أن تدفع لي ثمن معاونتي إياك . لكن إذا كنت قد كذبت عليّ فسوف أسلمك إلى الشرطة .

- اسمحي لي بأن أقدم لك نصيحة غالية . إذا طلب منك مجرم حقيقي مساعدته في المستقبل فاحذري أن تكشفني عن وجنتك . لأنه من الممكن أن يهاجمك .

- هل هذا تهديد يا سيد 'هولوويني' ؟

اثارت نبرتها المشوبة بالتسلط ضحكه :

- ناديني 'كين' . تعلمين .. إنك تذكريني بمدرستي عندما كنت صغيرا . السيدة 'ويتيكز' . لم يكن لها مثيل . كانت تقول : 'كينيث' لا مضغ لبان أثناء الدرس . ولا جريا في الشارع بعد انتهاء اليوم الدراسي .

كان يضحك وهو يروي لها هذه القصة ولم تستطع هي أن تقاوم فكبحت ضحكة وخيم التوتر بينهما على الفور . قال مستطردا :

- كان يلزماني بعض الوقت حتى أستطيع مواجهة الموقف وبذلك أضعت وقتا ثميناً . إذ تبينت أخيرا أن شخصا ما قد قتل 'بويلين' وأنه قد أشعل النار في منزله أيضا .

- هل كان يحاول قتلك أيضا ؟

- لا اعتقد ذلك بقدر ما أرى أن القاتل أراد لي أن أبدو وكأنني مرتكب هذه الجريمة وأنه قد لجأ إلى إشعال النيران في المنزل ضمنا لأن

يعثر رجال الشرطة عليّ بالداخل قبل فوات الأوان .

أصابته هذه الفكرة بأسى لم يمكنه التخلص منه . كيف أمكن هذا الشخص المجهول أن يملكه إلى حد رغبته في أن يودعه السجن ؟ وضعت "كاميلا" مرفقيها فوق المائدة والتفت أصابعها النحيلة على قذح قهوتها . ارتشفت قدرا من القهوة الشهية . ظهرت على يدها اليسرى نبتتان لم يفته ملاحظتهما على الفور . بدت بشرتها باستثناء هاتين العلامتين صافية مثل الخزف الصيني النقي . بدت له تحت إضاءة المطبخ الخافتة أصغر سنا وأكثر جاذبية عما رآها عليه من قبل ، حتى أثناء لقائهما السابق تحت الضباب .

انتظرت "ميللي" أن يواصل الحديث لكنه فضل أن يمحو من ذاكرته ذلك المشهد البشع الذي رأى فيه "وولتر" "بولين" يحتضر على قيد خطوات معدودة منه . كان الثلج يتساقط بالخارج وكان عليه أن يلوذ بالفرار متعثرا في الطريق ومتسلقا إلى قمة الرابية دون أن يلتقط أنفاسه تقريبا حتى يتفادى لقاء الشرطة بأسرع ما أمكنه ، خاصة أنه قد سمع أصوات صفاراتها المدوية تقترب منه .

أعجبت "ميللي" في صمت بالهدوء الذي روى به هذه المغامرة الرهيبة ، بحيث إنها لم تستشعر أي شك في صدقه ، ومع ذلك أحست أنه رجل متسلط معتاد أن يامر أقرانه وأنها معه لا تخشى العنف الجسدي وإن خشيت أن يمارس عليها تأثيرا بالغ القوة . سألته :

- لماذا لم تسلم نفسك إلى الشرطة على الفور طالبا مساعدتهم ؟
- لأن مأمور القسم تم تعيينه في منصبه هذا بمساعدة "وولتر" "بولين" ورأيت أنه من الحكمة ألا أواجهه فور وقوع الجريمة .

تأمل وجهها قليلا ثم تردد ثانية قبل أن يعترف لها :

- كان "وولتر" "بولين" والدي .

- كيف ؟ لكن اسمك "هولوويني" !

- هذا صحيح . أنا ابن غير شرعي له . هجر والدتي بعد أن جئت إلى العالم ولم يرغب في الاعتراف بي .

تحدث بصوت هادئ لكن بريقا فولاذيا انطلق من عينيه :

- تزوجت والدتي على أثر ذلك وأنجبت خمسة أطفال . كنت طالبا مجدا وأكملت دراستي الجامعية في زمن قياسي حتى إن مقالا عن نجاحي المتواصل في دراستي نشر بإحدى الصحف المحلية بدأ على أثره اهتمام والدي بي . حتى إنه أشرف عليّ بضعة أشهر متريدا في القرار الذي سوف يتخذه بشأن موضوعي . حضر أخيرا لمقابلة والدتي حاملا إليها اقتراحا ما . إنه لم ينجب من زيجاته الثلاث سوى ابنة واحدة توفيت في سن صغيرة . عرض أن أعيش في كنفه حتى أصبح وريثا له كما عرض أن يخصص معاشا من أجل والدتي .

تناول رشقة من قهوته ثم استطرد متنهدا :

- لم يكن زوج أمي كفتا لأن يستمر في العمل الواحد مدة طويلة وكنا ستة أطفال بالمنزل ! قبلت أمي ذلك الجزء من عرض "بولين" المتعلق بي ووافقت عليه .

بدت المرارة واضحة في طيات روايته . فلم يكن الجرح الذي تلقاه في حادثة سنه مختلفا بقدر كبير عن ذلك الذي ترتب عليه حادثة السيارة التي أصيبت "ميللي" فيها . فاض قلبها حنانا عليه لهذه الظروف .

- منذ بادئ الأمر حدثت المواجهات بين "وولتر" وبيني . كنت صغير السن جدا لكنني كنت مرنا مع ذلك . كرهت ذلك الرجل بسبب الضرر الذي لحقه بوالدتي فيما مضى وذلك الذي لحقه بي بنزعي من أسرتي . لم يتوفر لنا المال لكننا عشنا في سعادة كل منا قريب من الآخرين . أغلق "وولتر" بابا على شبابي والأكثر من كل ذلك أنه قد أمكنني التأكد بشكل أو بآخر من أن والدتي لم تكف عن أن تحبه ... باختصار شديد بذلت كل ما بوسعي لأن يعيدني إلى الأسرة التي نشأت فيها وأحببتها . وكان أوان التراجع في قراره قد ولى ! اضطرتت إلى البقاء معه وفيما بعد لم تراودني سوى رغبة واحدة هي أن أنجح في أن أسترد من "وولتر" الشيء الوحيد الذي يتمسك به أكثر

من أي شيء في الوجود : مصانعه .

ذهلت "ميللي" أمام هذا الاعتراف بينما انفطر قلبها شفقة عليه .

- نجحت في ترسيخ أعماله لكن بعيدا عن شركته . عندما هددني بحرمانني من الميراث كنت من ضيق الأفق بحيث رفعت كفتي تعاليا لأن هذا لم يمثل لي أهمية تذكر ! كنت واثقا بنفسه إلى حد الاستغناء عنه وعن ملايينه .

أخافها هذا التصميم الذي رآته في شخصيته . ارتجفت داخليا . إن "كين" يعيش حياته على هذا النحو الفاتر ولا يتردد في أن يسحق والده لا لسبب سوى الانتقام منه . أزعجها بريق عينيه رغم أنها كانت واثقة - في ذات الوقت - بأنها غير قادرة على مقاومة جانبيتها لها . قالت :

- أنت رجل أعمال معروف ولا بد أن يكون لك محام متاهب للإسراع إلى نجدتك .

- بعد التجربة التي خضتها في هذه الليلة لم تصبح لي ثقة بأي إنسان . من الذي كان على علم بأنني كنت على موعد مع "ولتر بويلين" ؟ لأن شخصا ما قد تحين فرصة هذه المقابلة لضرب "بويلين" وتعريضني لشبهة الاتهام بقتله .

فجأة وعلى الرغم من أن وجهه المتوتر قد فضح غضبه ومرارته رفع حاجبيه مبتسما :

- يمكن القول : إنك على وشك البكاء !

فاجابته غاضبة :

- لا تستحق دمة واحدة تذرف من أجلك . لكنني يؤسفني سوء حظك . إنني أسفة جدا من أجلك .

قال مرددا بنبرة رقيقة :

- أسفة ؟

لم تشعر امرأة من قبل بالأسف إزاء ظروفه . لكن "ميللي" تشفق عليه ! أثار ذلك فيه إحساسا غريبا بالحيرة أكثر منه بالضيق . لا ليس

بحاجة إلى أن يشفق أحد عليه . لذا اجابها على الفور :

- لا أطلب منك تحييا على الظروف التي تكتنفني !

فصاحت ضاحكة :

- أصبت .

دوت تلك الضحكة مرحة باعثة على الطمانينة في الصمت المخيم . ظهرت غماسة على وجنة "ميللي" وتحرك شيء ما في قلب "كين" أمام رؤيتها .

شعرت "ميللي" مرة أخرى بأنها لم تلتق طوال حياتها برجل أكثر تميزا . فإلى جانب حسنه كان ذا رجولة طاغية . دفعتها أولى مبادئ الحكمة إلى أن تقيم حاجزا بينه وبينها لأن أسلوب اللفة الذي توخاه معها من شأنه أن يورطها في حالة اضطراب معنوي وشعوري . تأكدت من أنه ينتمي إلى تلك النوعية من الرجال التي لا توليها نظرة ثانية . قالت :

- أتريد قدرا آخر من القهوة ؟

- سوف أصبها بنفسه .

مدّ ذراعه الطويلة إلى إبريق القهوة ففتح قميصه بقدر أكبر اثناء الحركة وعندما التفت بعيدا تركت المرأة نظراتها تتجول - فوق صدره المذهل المكسو بالشعر المتموج - لحظة قبل أن تملي على نفسها التراجع .

قال وقد بدا مشغول البال على نحو مفاجئ :

- ينبغي أن أكتشف : من المستفيد من موت أبي ؟ ومن الذي يطلب موتي إلى الحد الذي دفعه إلى أن يضعني في هذه المحنة .

دوى صوت صفارات الشرطة عن بعد والتفتت أنظار كليهما نحو الباب .

- لو طال بقاء الشرطة بالمنطقة فلن يمكنني الرحيل قبل يوم غد .

هل يمكنني البقاء عندك ؟ هل تذهبن إلى العمل ؟

- يمكنك الإقامة هنا . إنني في عطلة على مدى الأسبوعين القادمين

بمناسبة اعياد الميلاد ، وإن كنت سوف اذهب إلى البعثة غدا .

- اعياد الميلاد ! كنت قد نسيت . سوف يتعين عليّ تعديل خططي .

مرر أصابعه في شعره مشعنا إياه قليلا بينما تساءلت 'ميللي' :
أين كان يعتزم قضاء العيد ؟

سألها على نحو مفاجئ :

- هل ستسافرين لقضاء العيد ؟

- لن أسافر هذا العام لأن البعثة طلبت مني معاونتها .

- ليست لك أسرة ؟

- لي أسرة مكونة من ثلاث شقيقات متزوجات ، ووالداي يعيشان

في 'الاريزونا' مع شقيقتي الكبرى . وحيث إنه لا زوج ولا أطفال لي
فأنا التي اذهب إليهم في كل عيد حيث تجتمع الأسرة . سوف يكون
الاحتفال بالعيد هذا العام لدى شقيقتي 'لو' التي تعيش في 'آتلانتا'
لكنني أخطرتهم مسبقا بأنه لن يمكنني مشاركتهم الاحتفال هذا العام .
- ألا تخشين قضاء عيد الميلاد بمفردك ؟

- لن أكون بمفردي لأنني سوف أساعد البعثة ولن يسبب لي ذلك أي
قدر من الأسى . سوف يشغل والداي وشقيقتي وقتهم بالأطفال ولن
أكون ذات فاعلية كبيرة لهم .

- ولا يختلف الأمر بالنسبة إلي على الإطلاق ، أحب والدي
ويحباني . لكننا لا نشعر بالحاجة إلى التجمع كثيرا جدا . إخوتي
وأخواتي منتشرون في ولاية أو في أخرى بعيدين بذلك عن والدي
الذين يعيشان في 'ديه موان' بولاية 'أيوا' مع شقيقتي 'جين' . هل
تنتظرين أحدا غدا ؟ أصدقاء مثلا ؟

- لا . لا أنتظر أحدا . سوف اذهب إلى العمل بعد الظهر .

- ربما يمكنني الرحيل من هنا في وقت مبكر من بعد الظهر .

- إلى أين سوف تذهب ؟

- إلى فيلا امتلكها لا يعرف مكانها أحد سوى والدتي . لو تمكنت
من الالتجاء إليها فسوف أتمكن من الحركة والتصرف دون أن يكتشف

أمري أحد .

وبينما كان يرتب خطته نزع 'ميللي' الملابس التي صفت بها
شعرها في كعكة ثقيلة الوزن فانسدل شعرها فوق كتفها .

كانت 'كين' نراعيه ، ومرفقاء موضوعان فوق المائدة والحد عليه
الاهتمام الذي كان يراوده من قبل وهو يتأملها . انسدل شعرها في
تموجات طويلة براقية ذات انعكاسات ذهبية . اضطر أن يملأ على
نفسه تحويل نظراته عنها ..

- بينما كنت فأقدا الوعي بمنزل 'وولتر' سلبني القاتل حافظة
نقودي وبذلك لا يكون معي أي مبلغ من النقود .

- سرق حافظة نقودك ؟

- من المحتمل جدا أن يكون قد تركها بمكان ظاهر هناك بحيث يمكن
للشرطة الاهتداء إليها بسهولة واعتبارها دليلا على إدانتني . اكتشفت
فقدما في وقت متأخر جدا وعدوت بسرعة جنونية لأنه كان ينبغي عليّ
الابتعاد عن مكان الجريمة - بأكثر قدر ممكن من السرعة - عندما
تكتشف أن شخصا ما يحاول أن يلصق بك اتهاما باقتراف جريمة
قتل لم ترتكبها فإن هذا يصيبك بالذهول .

- نعم . أقدر ذلك .

تأثر لسماع صوتها المحمل بنبرات الشفقة لكن بقدر أقل من تأثره
بالتغيير الذي طرأ عليها . حولها هذا الأسلوب - من تصفيف الشعر -
إلى امرأة شديدة الجاذبية مكتملة الحسن بحيث اختفت معالم الندبة
في نظره واتسعت العينان وأضاءتا بمثل وهج الذهب وبدأت شفاتها
ممثلتين تحيطان بصفين من الأسنان ناصعة البياض .

توردت وجنتاها تحت نظرات الإعجاب التي تركزت على وجهها
وبيدين متوترتين ضمت فتحة رداثها حول عنقها ثم أملت على نفسها
أن تقول بغير مبالاة :

- ماذا كنت تقول ؟

- لم أعد أدري إنك فاتئة .

أغمضت عينيها بقدر طفيف وتوترت ملامحها بينما ارتفعت يدها إلى الذئبة . ثم قالت بتأن شديد :

- ليس هناك ما يدعو إلى هذه المجاملات . لقد أكدت لك أنني سوف أعاونك قدر استطاعتي .

مد يده ورفع ذقنها بحيث اتجهت نظراتها إلى عينيها مباشرة مروراً أحد أصابعه على طول الذئبة :

- كيف حدث أن أصبت بهذا الجرح ؟

فاجابته بهدوء :

- في حادثة سيارة عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري .

سن غير مناسبة لمواجهة مثل هذا الإحساس ... تصور أنها عاشت منطوية على نفسها حتى تحمي نفسها . قال بنبرة مشوبة بقدر من التهكم :

- أثار جراحي غير مرئية لي .

فقالت :

- وهذا أسوأ .

واجهت بعد ذلك تلك النظرات عميقة الزرقة التي نفذت إلى عمق روحها وتساعلت بقدر من التردد :

- هل قتلت "وولتر بويلين" ؟

لم تطرف عيناه ولم يبحث عن أي مخرج :

- لا . أقسم لك على ذلك . لم أخبرك إلا بالحقيقة المجردة .

بللت "ميللي" شفتيها بلسانها وتتابع نبضها مسرعا . انتظر رد فعلها وتوتر جسده في حالة سكون تام . تساءل فجأة : كم من الممكن أن يكون عمرها ؟ عيناها اللتان اعتقد أنهما بنيتان اتخذتا فجأة صبغة تكاد تكون خضراء أشبه ببركة في ضوء شمس الغروب وشفاتها بدتا وكأنهما تدعوانه لطبع قبلة عليهما . لم يزل محتفظاً بذقنها بين

أصابعه والتعبيرات التي راقبته بها أصابته بشديد الاضطراب دون ما سبب واضح .

- كم تبلغين من العمر ؟

اجابته وهي تمرر لسانها على شفتيها مرة أخرى :

- خمسة وعشرين عاماً .

- عمري أنا اثنان وثلاثون .

بدت شفاتها الورديتان أرق وأكثر إثارة من أفضل مشروب ذاقه طوال حياته . أحس برغبة ملحة في أن يتذوق رحيقهما وأن تلامس شفاه نعومتها ومرونتها !

انحنى قليلاً نحوها فتبين تسارع أنفاسها بسبب شدة قربها منها . تأكد من أنها لم تزل حديثة العهد جداً فيما يتعلق بعلاقاتها بالرجال . أثارته هذه الفكرة إلى حدّ لم يتصور قط أنه ممكن .

لم يقبل "كين" أيام حداثة سنه أن يخوض مغامرة أيا كانت مع فتاة نقية . ومع ذلك تبين أن الجاذبية التي أحسها نحو هذه المرأة الشابة أمر لا يمكنه مقاومته أو التغلب عليه . كان يكفي أن ينحني بقدر أكبر قليلاً حتى تلمس شفاه شفتيها اللتين بدتا في رقة القطيفة ونعومتها ، ناطقتين بالوعود .

دوّت في مكان ما من ذهنه ضحكة ساخرة . الحياء أو الارتباك أو الخرق . هذه الصفات جعلته يهرب من النساء المتسمات بها . ومع ذلك تخلى في هذه اللحظة عن فتوره أمام هذه الفتاة البريئة واتقد خياله .

قال بصوت صارم :

- "كاميلا" .

تفتحت مثل زهرة تحت أشعة الشمس واتسعت عيناها .

- تأملها دافعاً برأسه نحو الخلف قليلاً . ثم قال ثانية وهو ينهض

ويلتف حول المائدة :

- كاميللا .

قبض على كتفيها برفق :

- كاميللا .. انهضي .

فقال بصوت خافت :

- لا يمكنني .

حملها برفق شديد فاحست وكان حريقا قد تفجر بداخلها وسرى في عروقها بسرعة الضوء . علمت أنه لا يمكنها أن توقف المحتوم . علم كلاهما ذلك .

الفصل الثالث

ضمها "كين" إليه في قبلة ممتعة حارة . لم يستشعر خلالها أدنى قدر من الرغبة في الانسحاب ، أو عدم الثقة ، أو الخوف ؛ لأنها طوقت عنقه بذراعيها وكان صدرها قبالة صدره . نهل لذلك فلم تظهر العدوان ولا الجشع المتوقعين من امرأة محرومة من الرجال منذ زمن طويل ولا حتى التعقل والتحفظ المصطنعين . كانت متعطشة إليه ولم تخش أن تكشف له عن ذلك غير ابهة إلا بالاستمتاع بما قدمه إليها في تلك اللحظة .

عندما ابتعد عنها قليلا حتى يتأمل تعبيرات وجهها هاله ما رأى فيه من مشاعر الحرمان التي ارتسمت بوضوح بل وقرأ في عينيها دعوة خالصة . لم تبد "ميللي" أية حركة . فبينما كان يراقب ردود فعلها انخرطت هي تفكر في أنها لم ترقط رجلا على هذا القدر من الجمال ، وإنها تمارس الآن لعبة خطيرة لأنه لن تمضي بضع ساعات معدودة إلا ويختفي عن نظرها ومن حياتها كلية .

سألته إذ لم يمكنها التغلب على فضولها :

- هل أنت متزوج ؟

اجابها ضاحكا :

- لا .

اما هو فلم يكن بحاجة إلى أن يطرح مثل هذا الاستفسار لأنه كان واضحا بما لا يدع مجالا للشك انها لم تعرف رجلا من قبل . كم بدت ضعيفة امامه ! لكن خجلها البادي سرعان ما انقشع بمجرد أن استيقظت المرأة بداخلها على اثر قبلاته . وعلى الرغم من شدة رغبة "كين" فيها نجح في السيطرة على ذاته مبتعدا عنها بمقدار بضعة خطوات .

- "ميللي" هناك شيء ما لم أخبرك به بعد . عندما أفقت في منزل "وولتر" لم يكن قد أسلم الروح . اقتربت منه فهمس لي ببضع كلمات :

- هل نطق باسم قاتله ؟

- لا . وللأسف أنني لم أفهم شيئا مما تلفظ به بكل صعوبة ... لم أتمكن من فهم سوى أجزاء من عبارات منه : "كنت أعلم أنك أت ... لتسقط في هذا الفخ ... موت بطيء .. بسبب المال ... كان يعلم ويريد أن يستولي على كل شيء ... لا أنكر شيئا غير هذا .. لا شيء أكثر وضوحاً .

- لماذا لم تخبرني بهذا من قبل ؟

لم تستطع "ميللي" أن تفهم السبب في أنه تكتم هذه الأقوال المهمة جدا .

- رأيت أنه قد يبدو غير محتمل التصديق وأنني قد ابتدعته معجلا لإقناعك ببراعتي .

- لكنني أثق بك .

ربت وجنتها بحنان :

- تولين ثقة سريعة بالناس . ألم تخدعي من قبل ؟

رفعت "ميللي" كتفيها مؤكدة أنها لا تحمل ذكرى سيئة واحدة في هذا

المجال . ثم أضافت قولها :

- الطبيعة البشرية ليست سيئة .

أثارت الضحكة الساخرة التي ترتبت على هذا التقدير التي نطقت به موجة إشفاق بداخلها لحظها على الفور .

سألتها مبتسما :

- لازلت تفيضين إشفاقا علي ؟ نعم أراه في عينيك . "ميللي" - قبل كل شيء - لا ينبغي عليك أن ترثي لحالي . أعيش حياة مرضية .. أؤكد لك ذلك .

ضمها إليه بشدة دهشا أنه اضطر إلى الدفاع عن أسلوب حياته دون أن يعرف لذلك سببا :

- أنتقل من مكان إلى آخر وأعمالي تجري كما لو كانت عجلات واكاد أحصل على شركة "وولتر" . لم يفارقني الحظ قط منذ أن بلغت سن الرشد وكنت واحدا من المستفيدين الرئيسيين من ازدهار عمليات التنقيب عن البترول ! أحب ممارسة عدد لا بأس به من أنواع الرياضة .. أجيد السباحة والعدو والتزحلق على الماء ، التقي بالعديد من الشخصيات المهمة ...

سألته بنبرة تهكم :

- أتريد أن تقنع نفسك أم تقنعني أنا ؟ وإلى من تلتجئ عندما تجد نفسك أمام مشكلة ما ؟

- لي أصدقاء كثيرون من رجال القانون ونساء أعرفن جيداً وعلاقات عمل ...

ثم صمت دون أن يذكر صداقاته العديدة الأخرى إذ اتجه تفكيره إلى هذه الواقعة المخيفة فشعر بأنه لن يمكنه الاعتماد بشأنها على أي إنسان . في الوقت الذي يشعر فيه بالحاجة إلى المساعدة . لن يخف أحد من هؤلاء الذين ذكرهم الآن إلى نجدة .

توترت ملامح وجهه واستدارت "ميللي" أمامه . تأمل حركاتها وهي تغسل القدحين وتعيد ما تبقى من الفطائر إلى مكانها . تبعثها عيناه

لكن افكاره شردت بعيدا . الا يزال له اصدقاء .. اصدقاء حقيقيون ؟

قال بعد لحظة توقف :

- اشقائي وشقيقاتي سيكونون على استعداد للتدخل .

قالت 'ميللي' بإصرار وقد تابعت افكاره :

- لا زلت تتساءل : عمن يمكنك الالتجاء إليه عند الأزمات ؟ لست مطالبا بأن تثبت لي شيئا . إنني واثقة تماما بوجود عدد كبير من النساء في حياتك ... مستعدات إلى الطيران لنجدة . وقد سبق لهن - على حد تقديري - أن أعطينك كل شيء ..

قالت ذلك وقد بدت على شفيتها ابتسامة مشوبة بقدر من السخرية مما أثار غيظه .

- هل هذه محاولة لأن تقذفي بي إليهن وتخرجيني من حياتك ؟

طرح همومه جانبا واقترب منها حيث احتبسها - قبالة حوض غسل أواني المطبخ - بين ذراعيه . ودون أن تبدي أدنى قدر من الاعتراض أو الحيرة .

قالت بنبرة هادئة دون أن تغض طرفها عنه :

- إنهن جزء من العالم الذي تنتمي إليه . أما أنا فخارج هذا العالم وأنت على علم تام بذلك . لنعد إذن إلى واقع الأمور : أتحب أن تنام فوق الأريكة ؟

- تصوري لحظة واحدة رحيلي من هنا وأنا لن نلتقي ثانية قط .

هل ستنسين القبلات التي تبادلناها ؟

أصبح الإحساس بذلك غاية في الصعوبة على 'ميللي' واستحال عليها الحفاظ على هدوئها وهو على هذا الحد من القرب منها بحيث لفحت أنفاسه وجنتيها .

- اتركني امض أرجوك .

- تقبلين أن تتعشي معي - على الأقل - عندما يصبح ذلك بوسعي ؟

قطبت حاجبيها وقد استبد بها الغضب أن أحست بهذا القدر من الضعف بين ذراعيه .

- سوف نرى عندما تسمح الظروف .

فهم أنه لن يحصل منها على المزيد واستبدت به الحيرة . لم تدعن النساء قط إلى رغبة رجل مقابل دعوة بسيطة إلى تناول عشاء . أغضبه رفضها إلى حد بعيد . أحس بالضيق . تمالك نفسه مع ذلك وأخذ ذقن الفتاة في يده ثم ضحك :

- هل لي الحق في أن أطلب منك أن تنادينني باسمي الأول ؟ إنه كين . أود أن أذكرك به . أحب أن اسمعك تنطقينه .

انقدت عينا 'ميللي' مثل حجرين من الزمرد محاطين بإطارين من الذهب وهي تهمس برقة فائقة :

- كين ...

بدت في نظره في مثل إغواء فاكهة شهية أو دفء شعاع ضوئي ساخن في برد إحدى ليالي الشتاء القارس . لكنه كان يعلم أيضا كم كانت ضعيفة أمامه ! من الممكن أن يصيبها بجرح عميق دون قصد . لا . إنها ليست من النوعية التي يمكن إقامة علاقة محدودة الزمن معها ومع ذلك كان كين يتحاشى العلاقات طويلة الأجل لأن مشروعات كثيرة كانت تلح على ذهنه بحيث لم يفكر بعد في التقيد بعلاقة أسرية . لكنه بدا - على الرغم من كل ذلك - مشدودا إلى 'ميللي' مثل انجذاب فراشة إلى لهب . فقد مدت له يد العون في شدته وأولته ثقتها التامة . كذلك لم يرغب في أن يسبب لها أدنى قدر من الألم مهما كان المقابل ...

تمالك نفسه وسار إلى الجانب الآخر من الحجرة حيث وقف أمام النافذة . أزاح ستارتها بإحدى يديه ووقف يتأمل الخضرة الغارقة تحت الضباب الكثيف . انعدمت الرؤية تماما على مسافة مترين أو ثلاثة أمتار على الأكثر وفي هذا الظلام الحالك وأصل بعض رجال الشرطة بحثهم بينما لا يزال 'وولتر' الحقيقي بالفرار حيث يقيم في اطمئنان تام في مكان ما من المدينة بعدما الصق التهمة بـ كين هولوويني .

مرر أصابع متوترة في شعره الكثيف .

- سارحل من هنا صباح غد ولن يعلم احد على الإطلاق شيئاً عن لقائنا .

اعتصر قلب "ميللي" لأن فراقه يفجعها .
خاطبها بصوت مغمم بالحنان :

- "كاميلا" .. عندما أتحدث عن الرحيل لا أعني بذلك فراقاً أبدياً .
هل استشعر الأسى الذي تعانيه ؟ هكذا تساءلت قلقة من فكرة أنه يمكنه أيضاً قراءة ما يدور بذهنها بسهولة تامة .
- تريد أن تنام فوق الأريكة ؟
قال مؤكداً :

- لن أنام قط . اذهبي أنت إلى فراشك وكرر شكري على القهوة وعلى الفطائر وعلى كرم ضيافتك .
اقتربت عليه بقدر من التردد :
- لو رغبت في أن نتحدث معا مدة أخرى فلا أرى في ذلك مانعاً . من الممكن أن يكون أحد التفاصيل المهمة قد فاتك .
رمقها بنظرة خاطفة فاحصة ثم ابتسم :
- فكرة رائعة .

لكن ألا يضايقك ذلك ؟

- لا . لا رغبة لي في النوم .

كيف كان يمكنها أن تنام بينما هذا الرجل شديد الجاذبية والذي يفيض قلبه بالحنان الزائد ممدد من خلف جدار واه على قيد مسافة قصيرة منها ؟

خيم صمت تام على الوجود بالخارج بينما جلسا يتحدثان بصوت خافت دافئ في ضوء مصباح ضعيف .
قال :

- أسف أنني قد سببت لك كل هذا الخوف لكنني خشيت عندما سمعتك تدخلين من أن يكون بصحبك شخص آخر . لهذا رأيت أنه من الأصوب أن اظل مختفياً بعض الوقت .

- لا أهمية لكل ذلك ... هل تريد أن أعد قدراً آخر من القهوة ؟ لن يستغرق مني ذلك أكثر من بضع دقائق .

- احتفظلي بمقعدك . سأقوم أنا نيابة عنك بهذه المهمة .
وضع إناء مملوءاً بالماء فوق السخان . لمع برق سوار ساعته الذهبي حول معصمه إذ كان قد شمر كُمَي قميصه .
قالت مقترحة عليه :

- ما رأيك في أن نجلس في حجرة الاستقبال ؟ سنشعر بقدر أكبر من الراحة .
- مفهوم .

تبعها إلى الحجرة الغسiche التي توسطتها شجرة عيد الميلاد حاملاً صينية القهوة . رأى عدداً كبيراً من الهدايا المغلفة بالأوراق زاهية الرسومات والألوان عند قدم الشجرة . من الواضح أن "ميللي" لا تفتقر إلى الأصدقاء . ومع ذلك لم يبد للوحدة التي تعيش فيها أي أثر سلبي عليها . نعم فهي امرأة متزنة سعيدة لا ينقصها شيء لأنها تعلم كيف تقنع بما لديها . ومع ذلك أحس برغبة ملحة في أن يحميها .

والأكثر من ذلك أنه كلما تعرف عليها بقدر أكبر زاد إعجابه بها وبالأسلوب الذي تدير به حياتها وزاد اقتناعه بأن حياته خاوية غير مجدية . كان قد قرر مغادرة الولايات المتحدة أثناء عطلات أعياد الميلاد ليقتضيها في أحد مراكز الترحيل على الماء بسويسرا بصحبة "شيريل" . لم يصبح واثقاً الآن بتمسكه بهذا المشروع بعد . عليه على الأقل تسوية مشكلة جريمة القتل هذه أولاً بتسليم نفسه إلى السلطات وإثبات براءته منها .

مرر إصبعه على شكل زخرفي صغير عبارة عن عصفور مصنوع من الصيني ناشراً ذيله من الرقة بحيث خشي أن يهشمه بحركة غير مقصودة .

قالت "ميللي" :

- إنه هدية من أمي ، أعتقد أنه تمثال قديم ربما غير ذي قيمة تذكر ، لكنني متمسكة به إلى حد كبير .

سعد إذ سمع ذلك لأنه هو أيضا يستسيغ الأشياء العتيقة . طاف في الحجرة متأنيا ثم توقف أمام بعض الصور مبديا إعجابه بها وبالنقوش زاهية الألوان التي ازدانت الستائر بها وبقطع الأثاث البراقة تحت الإضاءة الخافتة . جذبت إحدى اللوحات المائية التي تصور شاطئ البحر انتباهه على نحو استثنائي .

قالت وهي تتابع نظراته إلى اللوحة :

- لم أذهب إلى شاطئ البحر سوى مرتين ، لكنني أحب العودة إلى هناك ...

توقف أمام خزانة رفوف محملة بالكتب جذب أحدها على نحو عشوائي . تناولت مقدمة ذلك الكتاب الحديث عن الأفلام التاريخية التي تم إنتاجها على مدى سنوات سابقة . تصفح عددا من صفحاته قبل أن يقول :

- أنت أيضا تحبين مشاهدة الأفلام السينمائية ؟

- نعم . وتلك التي تتناول القرون الماضية على وجه الخصوص . واحد الأحلام التي لم تتحقق لي بعد هو زيارة أحد القصور . اعتزم القيام في وقت ما بجولة في أوروبا لأتعرّف على أكثرها تمثيلا لمنازل تلك الحقبة من الزمان .

قال مشيرا إلى إحدى الصور الفوتوغرافية الكبيرة :

- وهذه الصورة تجمع بين جميع أفراد أسرتك على ما أعتقد ؟ هؤلاء أخواتك ؟ جميلات جدا .

سمعت "ميللي" هذه العبارة على الفور وقالت :

- نعم . أنا الصغرى بينهن . لو تكبرني بتسع سنوات وتبلغ الآن أربعة وثلاثين عاماً .

رأى أنه ما من شك في أن جمال شقيقات "كاميلا" هو الذي يسبب لها هذا القدر من الحياء .
قال مقترحا :

- ما رأيك في أن نشعل المدفأة ؟

كانت بضع دقائق كافية لأن تتصاعد السنة النار في المدفأة وانتشر الدفء في الحجرة يشيع إحساسا بالود المتزايد . اتخذت "ميللي" مكانها فوق الأريكة واضعة ساقيها من تحتها بينما جلس "كين" على الجانب الآخر من الحجرة مكاتفا ذراعيه فوق صدره - كما لو كان في بيته - ممددا ساقيه فوق المنضدة المنخفضة ذات السطح الرخامي في موضع قريب من صينية القهوة :

- لقد فكرت جيدا . الحل الوحيد أمامي هو أن أتوجه إلى الفيلا حيث لا أحد يعرفها ولا الشرطة ولا أي من أصدقائي ولا أية امرأة كذلك ...

علم بغطرته أنه قد مس إحساسات المرأة الشابّة . وضع يده فوق يدها قائلا :

- سامحيني يا "ميللي" .

- ولماذا تقول ذلك ؟ لا أشك في أن بحياتك نساء كثيرات . لا تتصور أنني أعتبر قبلك شيئا استثنائيا لن يدوم لي .

فاجأته بقولها هذا . احتوى رأسها بين يديه وقبل شفيتها قائلا :

- في يوم ما ستكون لك مفاجأة سارة يا "كاميلا بليك" .

توردت وجنتاها وكان عليه أن يقاوم رغبة في أن يغطي جسدها بقبلات حارة .

- تقول : إنك تريد العودة إلى قبيلتك ؟

- نعم . لو تمكنت من اختراق حصار الشرطة . حتى إذا وصلت إلى هناك فسوف أستعين بخدمات أحد رجال الشرطة السرية .

قست نظراته وتقلصت شفاهه ثم دفع برأسه إلى الخلف وأغمض عينيه .

سالته :

- سوف تنام ؟

- لا . إنني أفكر في أحداث هذه الليلة . بعدما التقيت بك بساحة انتظار السيارات توجهت إلى الفندق الذي أنزل به رأسا . تناولت عشائي بالمطعم مع أحد مقاولي المنطقة ثم افترقنا بعد الثامنة والنصف بقليل .

لم تستطع "ميللي" - أثناء إصغائها إليه - أن تمنع نفسها من أن تتصور النساء اللواتي تملأن حياته . فعلى الرغم من شدة جاذبيته ليس أمامه سوى الاختيار من بين أولئك اللواتي تتدفقن إلى طريقه . إنه جميل شاب ثري ذكي ... كيف يمكن لاية فتاة أن تمتنع أمام أي تلميح بدعوة منه ؟

- عندما صعدت إلى حجرتي بق ناقوس الهاتف وطلب "وولتر" مني أن أذهب لرؤيته على الفور . الحياة غريبة جدا ...

فتح عينيه محولا رأسه إلى اتجاه "ميللي" الجالسة بجواره .

- كان من المقرر أن استقل الطائرة كي تحملني إلى أوروبا وأخطرت أناسا كثيرين بأمر سفري . لم يعلم أحد منهم أن الضباب قد تسبب في تأخيري .

- من السهل التوصل إلى معرفة ذلك لو أننا فتحنا النافذة واطللنا منها ...

- نسيت أمراً مهما . إنه ما من شك في أنه قد تم إلغاء جميع الرحلات الجوية من المطار لكنني أمتلك طائرتي الخاصة .

قطب حاجبيه ونظر إلى ساعة يده :

- اللعنة ! الوقت متأخر قليلا على إجراء اتصال هاتفي .

- عليك أن تحاول مع ذلك .

- مستحيل . فإنه اتصال على مسافة بعيدة وأريد تلافي جذب

انظار الشرطة نحو منزلك . سوف أنتظر لحين عودتي إلى بيتي .

واضح أنه يريد أن يتصل بامرأة ما . لم تشك "ميللي" في ذلك .

- لو كنت تريد أن تخطر صديقا لك فلا ترد . أو إذا رأيت أن والديك سوف يقلقان عليك ...

- توفي والدي منذ زمن طويل وتوفي "وولتر" أيضا . ولا أرى داعيا للاتصال بوالدتي . لأنها واثقة بانني لا أستطيع أن ارتكب جريمة قتل . أما أصدقائي فيمكنهم الانتظار .

من المؤكد أن هناك "شيريل" أيضا . لكن لماذا الحديث عنها ؟

صبت "ميللي" القهوة في القدحين ، ثم جلست على الأرض أمام المدفأة وظهرها نحو الموقد . بهزة من رأسها جعلت شعرها يتراقص فوق كتفيتها بينما تركزت عينها على "كين" الذي ما يزال يبدو مستغرقاً في أفكاره .

- لم أكن لأرغب في الذهاب إلى بيت "وولتر" لأنه في كل مرة التقينا فيها كان حديثنا يتطور إلى نزاع . كذلك رفضت قبول دعوته لكنه أصر على أن أتوجه إليه ! قبلت أن أراه في التاسعة والنصف .

- في تلك الساعة غادرت المطعم الإيطالي بصحبة صديقتي .

سالها "كين" وقد أحس باهتمام غامض : لأنه لم يعلم إذا كانت تتحدث عن رجل أو امرأة :
- أحد حاضري الحفل ؟

- نعم "كلير ريني" . إنها رئيس مجلس إدارة جمعية أصدقاء المكتبة . واصل حديثك . لم أرغب في مقاطعتك .

أحس نحوها بالشكر أن غيرت مجرى أفكاره التي تركزت الآن على شخصية "ميللي" . أعجب بها وأعجب بالشلالات الذهبية المستقرة فوق كتفيتها وبالساقين الأنينتين المطويتين من تحتها . أحس برغبة في الجلوس بالقرب منها واحتباسها فوق صدره . سيطر على نفسه

بجهد كبير عائدا إلى الواقع ... إلى مشكلته .

- وصلت إلى بيت 'وولتر' . وحيث إنه كان في انتظاري فقد فصل جهاز إشارات الإنذار . لم يكن الباب مغلقا تماما فما كان مني إلا أن أدفعه . لم يكن هناك أحد بالحديقة ولا الكلاب التي لابد أنها كانت محتبسة خلف المنزل . عندما أصبحت أمام الباب ناديت 'وولتر' لكنني لم اُتلق أية إجابة رغم أن حجرات الطابق الأرضي كانت مضاءة . دخلت ثم ناديت مرة أخرى . ولم أسمع شيئا ... قلقت إزاء ذلك السكون التام .

سمعت بعد ذلك وقع خطوة من خلفي وعلى الفور ...

استغرقه التفكير في الوصول إلى أي دليل يكشف عن شيء مركزا بصره على 'ميللي' وهو يعرض على شفته :

- أردت أن أعود اندراجي وخيل إليّ أن رأسي قد انفجر ثم فقدت الوعي ، لا أنكر شيئا عما تلا ذلك من أحداث .

كان وقع حديثه بطيئا مفعما بالأسى في ذلك الصمت التام الذي كان صوت قعقعة حريق خشب المدفأة . الصوت الوحيد الذي يظهر فيه مما حدا بـ 'ميللي' إلى التفكير فيما قد مر به من لحظات حرجة قبل أن يندفع في اتجاه بيتها .

- عندما فتحت عيني استطعت تمييز الضوء المتراقص المنبعث عن اللهب بالحجرة المجاورة . تحاملت على نفسي حتى بلغت باب المدخل لكنني وجدته مقفلا من الخارج . عدت إلى الرواق وسمعت أنينا . كان ذلك صوت 'وولتر' حيث كان ممددا فوق الأريكة ليس بعيدا عن الموقع الذي كنت مطروحا فيه . اقتربت منه فראيت بقعة دماء . همس باسمي ... أدركته حتى يرقد على ظهره وأسرعت إلى الهاتف لاستدعاء الإسعاف لكن الحرارة كانت مقطوعة .

أثرت هذه الرواية على 'ميللي' بقدر أكبر مما كانت تريده . ارتشفت

من قهوتها قلقة إزاء هذه التفاصيل الجديدة عن المأساة التي عاشها . - عدت إلى 'وولتر' فأمسك بياقة معطفي حتى أنحني نحوه ونجح في قول تلك الكلمات التي ذكرتها لك . تركني بعد ذلك فقد أسلم الروح . بدأت صفارات الشرطة تدوي . التقطت المسدس الذي كان القاتل قد وضعه بجواري قبل أن يختفي ولذت بالفرار . تبين أن مفاتيح سيارتي قد سرقت وأن حافظة نقودي قد اختفت أيضا . بدت لي العودة إلى منزل 'وولتر' للبحث عن هذه الأشياء خطرا مؤكدا . اضطررت إلى الاستغناء عنهما وتوجهت بأقصى سرعة ممكنة نحو قمة الرابية . رأيت في منتصف المسافة أن البيت يحترق . تصاعدت السنة اللهب الحمراء مضيئة الضباب .

تنهد محيطا ركبتيه بيديه ثم استطرد في روايته :

- سقطت على الأرض عدة مرات لأنني لم أستطع الرؤية أمامي لكنني واصلت الابتعاد عن المكان بقدر الإمكان ومع هذا لم أتمكن من ذلك فقد خارت قواي ... سلكت هذا الطريق بعد ذلك ورأيت صندوق خطاباتك ...

ابتسم وارتشف قليلا من القهوة ثم استطرد :

- ضغطت على زر جرس الباب أولا بالتاكيد . ثم تأكدت من أنك لست بالداخل . قمت بجولة حول المنزل قررت على أثرها أن أفتح الباب بالقوة . اسمحي لي بأن أقدم لك نصيحة : غيري المزلاج . لا فائدة له . زحف ليجلس بجانبها أمام المدفأة . التقط خصلة من شعرها المتموج المنسل على كتفها وأخذ يلغها برفق حول إصبعه .

- بعد حوالي عشر دقائق سمعت صوت سيارتك ..

دهشته السعادة التي أحسها وهو يمرر أصابعه في شعرها البراق الناعم . قال ثانية بصوت خافت :

- أشكرك على كرم ضيافتك .

- ليست لديك أدنى فكرة عن شخصية القاتل ؟

سلكت أفكاره اتجاهها أقل ظرفا وقتم لون وجهه . ترك خصلة الشعر تعود إلى حيث كانت وأمسك بقائم أحد المقاعد .

- سألت نفسي هذا السؤال مالا يقل عن مائة مرة ولم أجد له عندي جوابا مقنعا . لي أعداء .. أعرف هذا جيدا ، لكنني لا أرى بينهم واحدا من الممكن أن يذهب إلى حد اقتراف جريمة قتل :

- من المستفيد من هذه الجريمة ؟

أصابني "ميللي" الهدف دون إضاعة الوقت والجهد في تفكير غير مجد وأعجب "كين" بذلك .

- عندما أعلم ذلك سوف أعرف القاتل . من وارث إمبراطورية "بويلين"؟

لا أعرف شيئا عن هذا الأمر . حرمني من الميراث منذ زمن بعيد وليست له أسرة . ومع ذلك لابد أن يكون قد فكر فيمن يرثه . من المرجح أن يكون قد اختار أحد شركائه ليكون وريثا له . وذلك الشريك وحده هو الذي يعنيه موته والذي يعنيه اتهامي - باقتراف الجريمة - حتى لا أطالب بحقي في الميراث .

كان يتحدث وكأنه يوجه الحديث لنفسه فقط لذا استطرد بعد فترة صمت قصيرة :

- أرى احتمالا آخر . بعد الضجة التي تركت على أثرها شركة "بويلين" لم يكف "وولتر" عن وضع العراقيل في طريقي . لكنني طرحت المال جانبا ثقة مني بأنه بإمكانني تحقيق النجاح بدون مساعدته . أسست شركة منافسة لشركته ، أمكنني أن أضيف إليها شركة إنشاءات واستقررت في "كانساس سيتي" . امتلكت بعض الأراضي وعندما ازدهرت صناعة الكشف عن البترول وجدت نفسي المستفيد الأول منها . أصبحت في تلك الأونة مالكا لإحدى المنشآت المتحكمة في

نقل البترول بالسيارات وبالسكك الحديدية .

دهشت "ميللي" عندما سمعته يتحدث عن تفاصيل ثرواته بكل هدوء وبلا شبهة غرور واحدة .

استطرد يقول بهدوء :

- سعى "وولتر" إلى تدميري بكافة الوسائل .

- هذا فظيع !

قال وهو يحول نظرات عينيه الزرقاوين تجاهها :

- تمنيت له الموت حتى هذا الأسبوع لكن كراهيتي له سرعان ما تبددت . انتهى كل شيء ولم يصبح لدي تجاهه سوى عظيم الإشفاق . وإذا قال ذلك سعد بأن بجواره مستمعة مصغية باهتمام تشع دفئا ومشاركة .

قال :

- يسرني أن أوليك ثقتي . لك أسلوب جميل في الإصغاء إلى مشكلتي .

قالت بصدق :

- إنني سعيدة بالاستماع إليك .

قال مفكرا وعيناه متجهتان إلى السنة اللهب الحمراء التي تتراقص في المدفأة :

- اتساءل أحيانا : ألم تسع النساء إلى الاهتمام إلى الرجل الكامل الذي يمكنه الحفاظ على جمال قوامهن .

- ليست جميعهن هكذا ... فانا مثلا أفضل أن يكون صديقي رجلا متفهما مجردا من الأنانية والزهو بذاته . نعم .. رجلا يعرف كيف يصغي إليّ ويقدرني .

تأثر لسماع ذلك منها لأن "ميللي" بالنسبة إليه تمثل لأول مرة نادرة تم العثور عليها بمصادفة نادرة الحدوث . فهي متفردة ذات قيمة عالية

متميزة .

سيطرت عليه رغبة في امتلاكها جسداً وروحاً ، لكن ليس لمجرد شهوة جسدية .

تأمل وجهها الرقيق قبالة لهب المدفأة فرأى أنها ساكنة في انتظار الحب وبصعوبة كبيرة حول تفكيره إلى ظروف هذه المشكلة .

- كثير من الناس في "دلاس" على علم بالحرب الدائرة بين "وولتر" وبينني . وباستنتاج بسيط أصبحت المتهم المثالي باقتراف هذه الجريمة . جئت إلى "كولورادو" في الآونة الأخيرة لأنني اعتزمت - كما سبق أن أخبرتك - شراء شركة "بويلين" . إن امتلاك الشيء الوحيد الذي تمسك "وولتر" به يعتبر انتقاماً مجزياً بالنسبة إلي ! أرى أنك غير مغتبطة بهذه الفكرة ... وانتك تبدين مصدومة في .

- هذا صحيح . لكنك لا تحمل لوالدك الآن أية ضغينة . هذا ما اكدته لي .

- نعم . فقدت بعض أوجه حياتي أهميتها لي منذ الأحداث المأسوية التي وقعت في هذه الليلة .

وضعت يدها على يده تعبيراً عن مشاركته مشاعره وأحس هو تجاهها بالامتنان . يا له من تفهم ويا له من دفء هذا الذي لدى هذه الفتاة التي لا تكاد تعرفه! سالها بقدر من التأثر وبعض التهكم معا :

- لن تبكي علي ثانية .. أليس كذلك ؟ يغالبك النوم كما أرى ؟
- قبل أن أوي إلى فراشي أحب أن أخبرني كيف مرّت لقاءاتك الأخيرة مع "وولتر بويلين" ؟

- واقع الأمر أن الأمور سارت على خير وجه في ظاهرها . أبدى "وولتر" استعداداً لأن يبيع لي شركته وبشروط ميسرة . لكنه لم يكن من تلك النوعية من الرجال التي تترك زمام الأمور بلا مقابل . اعتقدت أنه كان سعيداً - بشكل أو بآخر - بأن أكون أنا ابنه المتصرف في

ممتلكاته لكن عن طريق آخر غير التوريث . لكنني اكتشفت أنه قد ضمن عقد البيع بنذا يحتفظ له بحق الرقابة على جميع تصرفاتي . كان قد طعن في السن ولم يصبح قادراً على إدارة هذه المنشأة العملاقة بذات السلطة التي كانت له من قبل ، لكنه رفض أيضاً أن يكون مجرد مليونير متقاعد . لذلك وفي الوقت الذي تصورت فيه أنني قد توصلت إلى اتفاق مرض تبين أن قد استغلني ببساطة تامة . لهذا نقضت الاتفاق برمته .

- لم تره بعد ذلك سوى هذا المساء ؟

- لا . لكنني علمت منذ بضعة أيام أنه طريح مرض شديد ولم يؤثر ذلك على خطتي بينما افكاره لا بد أن تكون قد اتخذت منحني جديداً . عندما طلبني هاتفياً مساء أمس ظننت أنه يعتزم تغيير وصيته وأنه ربما يوصي لي بجزء من ثروته . وبناء على ذلك تصوري الوضع الآن وقد أحاط شركاءه علماً بنياته ؟ لا بد أن بعضاً من بينهم قد أحس بالخطر إزاء خطته . ألا ترين ذلك ؟

- في هذه الحالة يتعين التركيز على واقع أنه قد اختار له وريثاً بالفعل . وأن هذا الأخير قد قرر إنهاء حياته قبل أن تسنح له فرصة تعديل رغباته الأخيرة .

- لقد توصلت أنا أيضاً إلى هذه النظرية . وبناء على ذلك يكون القاتل رجلاً يصغر "وولتر" سناً .. لا بد أنه طموح لا ضمير له ... أحد المتعاملين مع "وولتر" عن قرب . أرى أربعة مرشحين من المحتمل أن يكون اختيار الرئيس الكبير قد وقع عليهم . أولاً : مساعدي المدير العام : "جون إدواردز" المسؤول عن القطاع التجاري ، و"بوب جنسن" المسؤول عن القطاع الفني . يأتي بعد ذلك نائب رئيس مجلس الإدارة : "الان مورلاند" القائم بأعمال القطاع الإداري .. وأخيراً "جارلاند فيكرز" موجه الإنتاج .

كل من هؤلاء الرجال الأربعة من الممكن أن يتقربوا وراثته .

- هل التقيت بهم في الآونة الأخيرة ؟

- نعم وكنت أعرفهم بالفعل منذ فترة اشتغالي تحت رئاسة "وولتر"... يتميزون بذكاء غير عادي ، وبطموح لم تعوِّقه أخلاقيات العمل قط . ودودون هادئو الطباع تماما وإذا تطرق الحديث إلى المال... متكالبون على استعداد لإزاحة كل ما يعترض طريقهم .

- إلى حد اقتراف جريمة قتل ؟

قال وهو ينظر في العينين البنيتين المترقبتين :

- من ذا الذي يمكنه أن يعرف ما يدور بقلب أي رجل ؟ تستطيع الملايين أن تغير أكثر الناس تمسكا بالأمانة .

- حتى أنا ؟

انقدت عيناه وطرح همومه جانبا . يا لها من صراحة ونقاء قلب!...

- لا . لا ينطبق عليك ذلك .

قالت وقد توردت وجنتاها :

- عذرا . لم أشأ مقاطعتك .

- حسنا . لقد شئت ذهني بأكثر مما تتصورين .

خففت أهدابها الطويلة غير قادرة على المقاومة أكثر من ذلك .

انحنى "كين" حيث طبع قبلة دافئة على شفثتها .

طوقت عنقه بذراعيها على الفور متجهة إلى صدره مباشرة حيث أحست عضلاته القوية ولم تقاوم عندما دفعها برفق ليطرحها فوق السجادة .

شعرت بيده تتجه إلى فتحة روبيها ونظمت عيناها بالرغبة لكن عندما التفتت إليه والتقت بنظراته الصارمة فهمت أنه لا يريد أن يقطع معها شوطا أبعد .. واقع الأمر أنه هو الذي ساعدها على النهوض

دون أن ينطق بكلمة واحدة .

توجهت "ميللي" إلى المطبخ كي تأتي بمزيد من القهوة . لم تزل وجنتاها متوهجتين عندما جلثت بالقرب من "كين" الجالس أمام المدفأة حتى تعيد ملء القدحين .

قالت بنبرة مرحة :

- حسنا إلى أين وصلنا مع هؤلاء المجرمين المحتملين الأربعة ؟

سعد أن رأى أنها لم تقس عليه ... على اثر إحساسها بأنه لم يتجاوب مع رغبتها . ما من شك في أنها قد تفهمت دافعه إلى ذلك . ومع ذلك لم يبد رغبة في الحديث عن علاقتهما الحاضرة أو المستقبلية . قال :

- حسنا . لا أدري إذا كان ...

أرهف كلاهما الآن في ذات اللحظة إلى أزيز محرك سيارة تقترب . ترقبا سماع مزيد من الضوضاء . توقفت السيارة ومسح ضوء أحد الكشافات واجهة المنزل . قال "كين" هامسا :

- إنهم يفتشون منزلك بحثا عني يا "كاميلا" . كيف يمكنني أن أوفيك الشكر على كل هذا الذي فعلته من أجلي ؟ لن أنسى لك ذلك أبدا . فقالت وهي تضحك بمرح :

- ولا أنا ...

عادت السيارة تواصل السير بعيدا عن المنزل فاستندت "ميللي" إلى الأريكة وأغمضت عينيها :

- ما مشروعاتك للغد ؟

- سوف أخترق الحاجز وأتوجه إلى الفيلا راسا .

- أمني أن تكون هذه الفيلا في مكان منعزل . هل خطر ببالك أن صورتك سوف تنشر بالصحف وأن أي إنسان قد يتعرف عليك ؟ - في تقديرني أن الجريمة قد وقعت في وقت متأخر جدا بحيث لن

يكون من الممكن نشرها بصحف الصباح .

أكمل جملته ليكتشف أن "كاميلا" قد استغرقت في النوم بهدوء تحت
بصره . كانت الساعة الخامسة صباحا طبقا لساعة يده . سوف يحين
الفجر بعد قليل ويصبح عليه أن يواجه مرارة الحقيقة وقسوتها .
نهض بهدوء تام حيث توجه إلى الفراش الكبير بحجرة النوم
وفتحه ثم عاد ثانية ليحمل الجسد المستسلم لنزاعيه . فتحت "ميللي"
عينها وابتسمت فقال :

- اللعنة ! تمضين في الثقة بي !

- إلى أين تحملني ؟

- إلى فراشك .

- ما الذي يدفعك إلى الحديث عن الثقة ؟

- لأنه يبدو لي أنك لا تعلمين شيئا عن نياتي .

رمقه بابتسامة حارة أخرى مطوقة عنقه بإحدى ذراعيها .

- لو كنت تضمري نية سيئة لما انتظرت كل هذا الوقت يا كينيث

هولوويني . أصبحت الآن أعرفك جيدا .

وضع ركبة فوق الفراش حتى يتمكن من وضع حمله الثمين فوق
الغطاء بكل حذر . راودته رغبة في أن يطيل البقاء بجوارها ما أمكنه...
تأملها تبسم من فوق الوسادة .

بدأ يقول :

- لست قديسا معصوما من الخطأ ولو أنك فقط ...

تمالك نفسه فجأة دون أن يكمل عبارته وبمجرد أن قال : "تصبحين
على خير" غادر غرفة نومها .

نادته قائلة :

- "كين" هناك أغطية بالخزانة العلوية بالمنخل .

- حسنا جدا .

علمت أنه كان يتحرق شوقا إلى أن يبقى بجانبها : لذا ترددت قليلا
إذ أرادت أن تنهض لكنها سرعان ما طرحت عنها هذه الفكرة وخلعت
روبها وتوارت تحت أغطية الفراش . ولم تلبث أن استغرقت في النوم .
وبعد أقل من الساعة فتحت عينها لترى "كينيث" هولوويني
منحنيا فوقها مناهبا لأن يضع يدا على فمها حتى لا تصيح .

من خصره النحيل من فوق المنشقة مباشرة .

قال بإلحاح :

- "كاميلا" ...

ابتسمت نحوه ثم نهضت جالسة :

- سوف أذهب إليهم .

تراجع خطوة واحدة دون أن تفارقها عيناه . فهمت أنه يترقب لحظة مغادرتها الفراش . لا ترتدي شيئا يستر جسدها . مدت يدها إلى أقصى مسافة ممكنة فنجحت في القبض على قميص نومها وارتدائه دون أن تكشف عن أي جزء من جسدها . كان القميص وردي اللون تكشف بعض مواقعها عما تحتها بسبب الانسجة الشفافة المستخدمة في صنعه . قالت بنبرة أمرة :

- استدر !

أطاعها مبتسما وقد تلاحقت دقات قلبه بسرعة . تركها تأخذ روبيها دون محاولة لأن يلقي نظرة على ظلها . قال وهو يغادر الحجرة :

- أريد أن أعرف : ماذا يطلبون ؟

أسرعت "ميللي" تفتح الباب لرجال الشرطة .

- صباح الخير يا سيدتي ، أنا الملازم "كولينز" من شرطة الولاية . هذه صديقتك .

قالت وهي تأخذها من يده :

- أشكرك .

- نمر اليوم بجميع منازل المنطقة مواصلة لبحثنا . ألم تلحظي وجود أي شخص غريب عن الرابية منذ مساء أمس ؟

- لا . لم أر أحدا كذلك .

- اتسمحين لنا بإجراء تفتيش عاجل في حديقتك ؟

- لا مانع من ذلك .

الفصل الرابع

سمعت قرعا شديدا على باب الشقة بينما قال "كين" هامسا :

- لم أشأ إزعاجك لكن رجال الشرطة يطلبون الحديث معك . أرجوك أن تمنعهم من دخول الشقة وأجيبهم عبر الباب .

استيقظت "ميللي" منزعجة على أثر هذه الفترة القصيرة جدا من النوم . ركزت بصرها عليه على نحو لا يوحي بأنها تتفهم شيئا .

- "كاميلا" ؟ هل أزعجتك ؟ اللعنة ! إنني في غاية الأسف على ذلك .

تركز بصر الفتاة على الجسد المنحني نحوها فكبحت أنفاسها .

خيل إليها أنها قد تلقت ضربة قوية في معدتها . بدا "كين" شبه عار بتلك المنشقة الوبرية التي أحاطت بحقوقه كما بدا جسده رطبا كما لو

كان قد خرج لتوه من تحت وابل المياه . مشهد مذهل يذهب بصواب أية امرأة . ولم تستطع "ميللي" أن تنزع بصرها من عضلاته التي

برزت من تحت بشرة سمراء ، ولا من هيكل عظام كتفيه القويين ولا

- لقد ضربنا حصارا حول الرابية كلها ونعزم الإبقاء عليه حتى نقبض على ذلك الشخص المشتبه فيه . كوني حذرة يا سيدتي ! لأنه مسلح وخطر جدا .

- شكرا لك . وسوف أخذ حذري .

حياتها وانصرف لينضم إلى زميله الذي وقف ينتظره على قيد بضعة خطوات . أغلقت "ميللي" الباب عائدة إلى حجرة الاستقبال . وجدت "كين" يراقب من خلال مكان التقاء الستارتين مغادرة رجلي الشرطة الموقع . كان قد ارتدى ملابسه . قال بنبرة رقيقة:

- اعترف لك بالجميل بحق . والآن أتركك .

- مستحيل ! سوف يحتفظ رجال الشرطة بالحصار قائما لحين القبض عليك . وفي وجود هذه الثلوج لن يتم عمل شيء يذكر . - أعلم ذلك لكنني أتوقع أن أنجح في اختراق إحدى ثغرات شبكتهم . سوف أتسلل إلى هناك بعد تناول الفطور .

اعتصر الأسى قلب "ميللي" . تصورت على الفور "كين" يعدو ورجال الشرطة يصيبيونه بطلق ناري فيردونه قتيلا . قالت :

- اقترح عليك أن اذهب أولا إلى "كولورادو" وبذلك يمكنني اكتشاف مواقع الحصار والتحقق مما إذا كان يمكنك التسلل من خلاله دون أن يراك أحد أم لا . أعود بعد ذلك حيث يمكننا وضع الخطة المناسبة .

دفعه هذا العرض إلى التفكير . لم يكن معتادا أن يوكل مهامه إلى أحد سواه ، لكن "ميللي" أوجت إليه بثقة تامة بشخصها ولهذا السبب قبل اقتراحها .

- حسنا جدا . أوافق على مشورتك . لكن لا تنسي أنك تجازفين بأن تعتبري شريكة لي في هذه الجريمة .

- أعلم ذلك جيدا .. لكنني مصممة على تنفيذ هذا الاقتراح . سوف ارتدي ملابسني واستقل سيارتي .

- وسوف أعد أنا الفطور .

- حسنا جدا وهذه هي صحيفة هذا الصباح . ربما تكون صورتك منشورة بالصفحة الأولى منها .

قلبت أوراق الصحيفة بمساعدته واهتدت إلى ما كتب عن الحادثة باختصار في مساحة نصف عمود وبلا أية صور مصاحبة لكن اسم "كينيث هولويني" ذكر على أنه الشخص المشتبه في اقترافه هذه الجريمة وأن البحث عنه جار بمعرفة قوات الشرطة .

قال بصوت حزين :

- سوف تنشر صورتني بالصفحة الأولى بصحف الغد .

دفعها القلق عليه أن تضمه إلى صدرها بتلقائية دهش لها كلاهما . اغمض "كين" عينيه مطوقا إياها بذراعيه سعيدا بالعزاء الذي بعثته في نفسه مستشعرا ارتخاء عضلاته المتوترة . نسي همومه .

قال بنبرة ساخرة مفاجئة :

- هيا .. هل ستدرفين علي دمة أخرى ؟

حررت نفسها من قبضته ضاحكة :

- سيكون ذلك سهلا جدا علي .

- لا . لا . ليس الآن .

قالت وهي تبتعد عنه :

- سوف استعد إذن .

أحست بسعادة غامرة إزاء ثقته بها على الرغم من اعترافه لها في وقت سابق بأنه لا يطمئن على مهامه إلا عندما يقوم بنفسه ولا يعتمد على أحد غيره . أسرعت ترتب فراشها وتنظّم حجرتها وقد احتوتها مشاعر الحيرة والاعتباط في ذات اللحظة .

كان "كين" لا يزال بالمطبخ عندما لاحظ ظلا يمر من أمام النافذة . سمع قرعا على الباب تلاه رنين الناقوس بينما ذهب هو ليجلس عن "ميللي"

في حجرتها . لم تزل مرتدية روبيها . همس لها قائلاً :

- لا تجيبي الباب . بعني الشرطة خارجاً .

- ليس هذا من قبيل الحكمة . قد يسبب عدم فتح الباب حيرة لرجال الشرطة وقد يقلقون عليّ .

اعترف بصحة رأيها وتركها تتوجه نحو المدخل . وقبل أن تختفي عن نظره تماماً سألها :

- هل لديك موسى ؟

- نعم فوق أحد رفوف الحمام . سوف أترك لك المكان بعض الوقت . يمكنني الاغتسال فيما بعد .

بينما شغلت بالحديث مع السلطات من خلف الباب . تساءل : ماذا عساه أن يكون ذلك الذي يجذبه إليها بكل هذه القوة ؟ وما الذي عساه أن يبحث عنه - وهو الرجل الثري المحتكم على الثروات الطائلة - لدى هذه الفتاة السانجة الراضية بعالمها الصغير في مجال الخبرة بالتغذية والذي تكرسه للأغراض الإنسانية . رأى وهو يمرر الموسيقى على نغمته أنه لا مجال للتشابه ولا شيء مشترك بينهما . ومع ذلك لم يذكر أن أية امرأة قد أيقظت بداخله مثل هذه الرغبة .

كيف يكون مسلكها في الفراش ؟ أما وقد تجاوبت مع حرارة قبلاته فلن تترك أي رجل يعاني عدم الرضا . ثم قال محدثاً نفسه : لا تفكر في ذلك طويلاً يا صديقي .

- كين ؟

ترامى نذاؤها إلى سمعه في الحمام بينما كان يغسل وجهه . فتح الباب فرمقته 'ميللي' بنظرات الفضول .

- كنت تحدثيني ؟

لم يكن بحاجة إلى أن يسمع منها شيئاً لأن عينيها فضحتا مجرى أفكارها التي تجاوبت معها من خلال أنفاس متسارعة . ترك المنشقة

تسقط على الأرض واخذ 'ميللي' بين ذراعيه . امتدت يده لتحل حزام روبيها :

- كين ...

هل كان ذلك اعتراضاً أم دعوة ؟ بدون مزيد من التساؤل مرر يديه من خلال فتحة الروب ليطوق خصر 'ميللي' . أحس قبالة صدره بصدرها الذي لم يفصله عن جسده سوى رداء باللون الوردى الباهت . قال بصوت أجش :

- لا أريد أن أفترق عنك . 'ميللي' ...

لم تقاوم قبلته التي جاءت رقيقة متأنية مفعمة بالمشاعر مع ذلك أحس 'كين' الذي كان قد قرر عدم التورط معها في علاقة قبل أن يعمل على حل مشكلاته . أحس بأن تصميمه يتبخر أمام عينيها بينما امتدت يده إلى الصدر المصوب إليه .

ارتعشت تحت لمساته وسرى لهيب مكتسح في عروقها . تنهدت متشبثة بعنقه مستسلمة للسعادة التي نعمت بها بينما تأمل 'كين' - الذي لم يكن قد تخلص من فتوره نهائياً - وجهها من خلال عينيها طارفتين . هل تمنعه ؟ على الرغم من الرغبة التي بلغت منه حد التعذيب . علم أنه يمكنه السيطرة على ذاته خلال ثوان معدودة .

قالت تعترض على نحو مفاجئ وقد توترت :

- كين' ينبغي عليك أن تتوقف ...

توردت وجنتاها وانقادت عيناها . أيقنت أنه لن تكون لديها قط الشجاعة التي تمكنها من الابتعاد عنه ما لم يبادر هو إلى ذلك . تراجع إلى الخلف بمقدار خطوة محتفظاً بها عند ساعديه .

قالت :

- سأذهب لإعداد الغطور .

فقد نسيت أنه قد بدأ هو القيام بتلك المهمة .

ابتعدت وأعاد غلق باب الحمام . أية معركة تلك التي خاضها مع نفسه حتى يتركها تمضي ! أملى عليه التعقل ألا يغامر بشيء في هذا المضمار . انتهى من العناية بنفسه وعاد إلى المطبخ مشغول البال قرر ألا يطيل النظر إلى القوام النحيل الذي وقف وظهره نحوه .

- كيف حال قططك الصغيرة ؟

- هائل . هل تريد واحدة منها ؟

التفت نحوه ونظرت إليه فحقق قلبها بشدة لما قرأته على وجهه من رغبة فيها . ابتسم :

- وهل تأتي صاحبة القطه في أعقابها أيضا ؟

لم تهتد إلى إجابة مناسبة : لهذا اكتفت بأن تظل صامتة متأثرة وعلى شفيتها ابتسامة ترقب . التقط أنفاسه متذكرا قراره وجلس إلى المائدة . كان كل شيء مهيبا لوجبة متكاملة : عصير برتقال وقهوة وبيض مقلي باللحم وتلك الفطائر الصغيرة الشهية التي تحتفظ "ميلي" بأسرار إعدادها .

توجهت "ميلي" بعد تناول الفطور إلى حجرتها كي ترتدي ثيابها . ارتدت بنطلونا من الجينز مع قميص صوفي أحمر . صفقت شعرها على هيئة كعكة كبيرة مسطحة على قفا عنقها . نظرت إلى صورتها في المرآة وعلى غير عادتها مررت قلما أسود اللون من تحت أهدابها . ثم مررت إصبع أحمر الشفاه على شفيتها . اتصلت بعد ذلك بالطبيب البيطري فأكد لها أنه يمكنها الذهاب إليه لاستلام كلبها "قويو" بعد ظهر الاثنين .

عندما غادرت حجرتها أحست بنظرات "كين" مركزة عليها إذ وقف قبالة نافذة حجرة الاستقبال يفحصها من قمة رأسها حتى اخمصي قدميها دون أن ينطق بكلمة واحدة . قال أخيرا بصوت خافت :

- إنك رائعة الجمال .

فقال بصوت أرادت له أن يحمل نبرات اللامبالاة :

- شكرا لك . ساعد قائمة مشترياتي من المدينة ثم اذهب إلى هناك . وقف بعد مضي حوالي الساعة خلف النافذة - من حيث أمكنه رؤية قطاع لا بأس به من الشارع - يترقب عودتها . ففي يديها الصغيرتين نواتي الأصابع الرشيقة وضع مستقبله . يا له من أحقق مستهتر ! لماذا أوجت إليه بكل هذه الثقة ؟

وإذ انقضت الدقائق دون أن تظهر أية سيارة في الأفق تفاقم قلقه . سار حوالي مائة خطوة في أرجاء الحجرة ثم عاد إلى موقعه خلف النافذة . عندئذ فقط سمع صوت محرك سيارة . لكن كان من الواجب أن تصعد تلك السيارة بينما هو كف عن مراقبتها .

توقف قلبه عن النبض . هل هذه "ميلي" التي عادت أم قوات الشرطة ؟

بداخلها ؟ فتحتها لهم بكل رضا فتحققوا من انها خاوية . ولدى عودتي لوحوا لي بإشارة ودية كي أمر وخاطبني رجل الشرطة الذي تحدثت معه في طريق ذهابي باسمي . فقد تعرف علي ...
وامتدت اصابعها إلى الندبة التي بوجنتها تلقائيا . وضحكت وهي تقول :

- ليس من السهل نسياني .
- لمس قلبه هذا الاعتراف الذي تفوهت به بلا مرارة او غير ذلك من المشاعر القاسية خاصة انه قد رأى فيها جمالا وسحرا غير عاديين .
- مرر اصبعها على آثار تلك الندبة الشهيرة قائلا :
- ألم يخطر ببالك أنه قد تعرف عليك لأنه قد رأى أنك جميلة؟
- ابتسمت كما لو لم يكن هدفه سوى ممازحتها :
- على أية حال رأى هو وزميله أن يطبلا الحديث معي .
- قال معلقا وهو يومئ برأسه :
- رجلان خلبت لبيهما فتاة مكتملة الأنوثة .
- رفعت كتفها من قبيل الدعابة وإن كان تعليقه قد جلب عليها سعادة حقيقية . قالت :
- ما من شك في انهما من هواة التحدث مع النساء .
- او ربما أرادا أن يبقيا طويلا بالقرب من فتاة ساحرة .
- ساحرة ؟.. هذه الصفة لا تليق بي أكثر مما يليق بك وصف الحياء او الخجل .
- هذا ما تعتقدينه ؟
- اقترب من وجهها إلى حد كبير ثم اقترب بقدر أكبر . اشتتم رائحة عطرها ونظر في عينيها البنيتين اللتين أضاعتا باشعة ذهبية :
- إنني واثق بأنك عندما تنظرين إلى المرأة لا ترين ذات الصورة التي يراك الرجال عليها .

الفصل الخامس

دخلت السيارة "الرينو" الصغيرة الحديقة وتوجهت إلى الجراج . احس كين بعظيم الارتياح واسرع يفتح باب المطبخ لـ "ميلي" التي وصلت تحمل في ذراعيها حقيبة كبيرة بها شتى أنواع البقالة والخضر والفاكهة التي يحتاجها بيتها .
قالت وقد قرأت القلق جليا على وجهه :
- أه ! أرى كم كنت قلقا . اعذرني على هذا التأخير .
فاجابها بارتياح :
- لا أهمية لذلك . ألا تزال الشرطة ضاربة حصارها ؟
- يفرضون المراقبة على كافة أنحاء الرابية .
- اللعنة !
- لكن لدي خطة . عندما اوقفوني في مكان الحصار سالوني : هل يمكنهم تفتيش الحقيبة الخلفية للسيارة تحسبا لأن تكون قد اختبأت

ومد يده أثناء الحديث إلى شعرها حيث نزع أحد مثبتات الكعكة التي جمعت فيها شعرها . سألته مذعورة :
- ماذا تفعل ؟

- اخلصك من تسريحة جدتي العجوز . لا . هذه الكعكة التي تضعينها فوق قفا عنقك لا تناسبك إطلاقا . أفضل أن أراك هكذا وشعرك الجميل منساب فوق كتفيك ... تبدين رائعة .

- أه ! هل تصدق أنني قد اهتديت إلى ماوى لقططي الصغيرة؟
رجلا الشرطة على استعداد لتبنيها . سياخذ أحدهما اثنتين والثاني سوف يؤوي الثالثة . الحق يقال : إنني قلت لهم كلاما ظريفا سرعان ما اقتنعا به .

- لا أشك في ذلك . واراهن على أنهما قد تحينا هذه الفرصة لأن يطلبنا منك رقم هاتفك بحجة أن هذه القطط الصغيرة من الممكن أن تعاني فراقك وتطالب بأمها بالتنشئة . هل أخطأت ؟

- كين ! من الطبيعي أن أمدهما ببعض الإرشادات إذا كانا بحاجة إليها !

- نعم . بالتأكيد ... وهما أعزبان ... اليسا كذلك ؟

- كن جادا !

جادا ؟ لم تكن لديه أدنى رغبة في أن يكون كذلك . كانت نظراته المعبرة وابتسامته الراسخة وضغط يديه على كتفي "ميلي" خير دليل على ما يجيش بخاطره . لكنها كانت تستشعر الخطر يحلق مع انقضاء الدقائق .

- كين اسمعني . أرى أنك لو قبلت أن تبقى بحقيبة سيارتي مدة قصيرة يمكنك الفرار من الشرطة . إنني واثقة تماما بأنهما لن يطلبنا مني فتحها لهما مرة ثانية .

تركزت عينها أثناء الحديث على الشفتين القريبتين جدا من

شفتيها ، واذناها على صوت دقات قلبه المتتابعة المسرعة . كانت تود أن تخفي أصابعها في فتحة قميصه المقفل جزئيا كالمعتاد .

- لكن يتعين علينا ألا نضيع الوقت وإلا خاطرنا بالتعرض إلى دورية شرطة أخرى .

- أصبت .

تراجع إلى الخلف قليلا ثم استطرد يقول بنبرة فائرة تليق برجل يواجه مسؤوليات صعبة :

- تعتقدين أنه يمكنهما رؤيتنا أثناء خروجنا من البيت ؟

- لا . وإن كنت أنصحك بأن تترك المسدس هنا .

- حسنا جدا . أية مقترحات أخرى ؟

- لا ... بعدما نغبر منطقة الحصار سوف أوقف السيارة في منطقة لا يحتمل أن يراك فيها إنسان وأنت تغادر السيارة . وبعد ذلك تتولى أنت قيادة السيارة .

- هل لديك أدنى فكرة عن ذلك المكان المنعزل الذي يمكنني الخروج إليه من سجنني ؟

- نعم . ساحة الانتظار الملحقة بالمدرسة . لأن المبنى خال تماما في الوقت الحالي بسبب عطلات أعياد الميلاد ولن يراك أحد بالشارع .

- يبدو ذلك مناسبا جدا .

- هل أنت متأهب للرحيل ؟

حنى رأسه فقالت :

- ساتي بالقطط .

وقبل أن تقترب منها شعرت بقبضتين على كتفيها :

- كاميللا .. سوف نلتقي ثانية .. اليس كذلك ؟

- بالتأكيد سوف نلتقي .

هكذا أجابته "ميلي" بلا تردد وإن لم تصدق أنها سوف تراه ثانية .

لا . لأن "كين" لم يتعود صحبة نساء من مثيلاتها ولا مواعدهن أو التحدث معهن هاتفيا ، ولأن القبلات التي تبادلها لن تترك ذكراها إلا في نفسها وحدها . وحتى لو كان "كين" صادقا في أمله - وكان كذلك بالفعل - فسوف لا يذكر طويلا تلك الفتاة التي أوته يوما ما من الثلوج . من الحماسة أن تتصور أن يوما ما من أحد الشهور أو إحدى السنوات ...

اجتازا الحديقة مسرعين ونجح "كين" في إخفاء ساقيه الطويلتين بداخل حقيبة السيارة . لم يكن الوضع مريحا على الإطلاق بالتاكيد . قال :

- توخي الحذر وخفضي السرعة عند المنحنيات .

- لا تخف سوف أراعي ذلك .

أغلقت الحقيبة وتوجهت إلى مقعدها من خلف عجلة القيادة . مسحت نظراتها الطريق من أمامها ، حيث تراكم الجليد وانبتقت منه جذوع أشجار الصنوبر السوداء . لكن السماء كانت صافية لا غيوم فيها وكان الهواء منعشا . أحست بخوف مفاجئ حتى إنها استعانت بكلتا يديها على فتح المشعلة خشية أن تخطر ببال أي من رجلي الشرطة فكرة فتح الحقيبة الخلفية للسيارة !

نزل أول رجلي الشرطة طول الطريق حاملا معه جهاز الاتصال اللاسلكي وقد سبقه زميله بمقدار بضع خطوات على الجانب الآخر من الطريق . تعرفت على هذين الصديقين الجديدين وتوقفت . اقتربا منها فناولتهما العلبة المحتوية على القطط وهي تقول مبتسمة :

- سوف أمضي لأنني على موعد في الإرسالية وقد تأخرت بالفعل .

- أكرر شكري يا أنسة "بليك" لن نعطلك عن موعدك .

انطلقت قلقة إزاء معاناة "كين" في ذلك الوضع وإن كان ما شغل ذهنها أكثر من أي شيء آخر هو الكلمات التي قالها لها: "... لأنه قد

رأى أنك جميلة" يا لها من جملة رائعة ! كانت واثقة بأن هناك من بين الرجال من يقدرونها لكنها ظلت تتشدد بكلمة "جميلة" خاصة أن من وصفها بها كان "كين" . رأت أن هذه الصفة مبالغ فيها إلى حد كبير وأن كلمة "لطيفة" مثلا أكثر مناسبة لها لأن هذه الذببة الملعونة ... تنهدت .

توقفت بعد بضع دقائق في ساحة الانتظار الملحقة بالمدرسة والتي كانت مهجورة تماما كما توقعت لها أن تكون ، ومع ذلك وإمعانا في الحيلة توقفت في ركن منعزل منها . سألته بعدما فتحت غطاء الحقيبة :

- كل شيء على ما يرام ؟

أجابها وهو يغادر سجنه بصعوبة شديدة :

- نعم .

جلس من خلف عجلة القيادة واتخذت هي المقعد المجاور ، قاد السيارة بتعقل شديد وبرشاقة نادرة نالت إعجابها . قال مازحا :

- حمدا لله . إنك قد نجحت في التخلص من معجبيك . لم يرغب سوى إطالة الحديث معك .. لحظت ذلك جيدا .. وأن موضوع القطط لم يكن سوى ذريعة لتعلا بها .

- "كين" .. هيا عد إلى جديتك . وأخبرني كم تبعد قبلاك عن هنا .

- حوالي ثلاثين كيلومترا . اشتريتها منذ عامين وأحب أن التجئ إليها بين الحين والحين .

- هل أنت بحاجة إلى ذلك ؟

- نعم . اضطر أحيانا إلى الابتعاد عن أعمالي وعن الاتصالات الهاتفية وعن المواعيد وعن تناول الوجبات على الموالد الفاخرة .

اعتصر قلبها أمام فكرة أنه سوف يختفي من حياتها تماما في غضون نصف الساعة . رفضت إطالة التامل في هذه الفكرة المحزنة :

- ماذا ستفعل بعد وصولك إلى بيتك ؟

- سوف اتصل قبل كل شيء آخر برجال القانون العاملين لدي . ثم أقوم بعد ذلك باستخدام أفضل مخبر سري في الناحية . وانت ؟ ما مشروعاتك ؟

- ليس لدي شيء محدد أفعله بعد ظهر اليوم أو بعد ظهر غد باستثناء بضع ساعات أقضيها في الإرسالية .

- اهذه أول مرة تقضين فيها عيد الميلاد بعيدا عن الأسرة ؟

- نعم . لكنني أشعر بأنني أكثر فائدة هنا عن وجودي مع الأسرة . سوف نلتقي جميعا في شهر مارس وسوف نتزاور في مناسبة أو في أخرى أثناء أشهر الصيف . وأسرتك ؟

- لسنا معتادين التجمع دائما . لكننا نلتقي كثيرا في أشهر الصيف . إخوتي وأخواتي غير الأشقاء يصغرونني كثيرا . "جلين" و"كيت" متزوجان .

- هل تحتفل بعيد الميلاد بمفردك ؟

- وإزاء التعبير الذي علا وجهه الجميل مثل غمامة رات أن استفسارها في غير موضعه . لكن ما الذي يمكنها أن تفعله ؟ قال :

- لا أدري . ليست المشكلة في أن اتواري عن الأنظار مادام يقتضي الأمر ذلك بقدر ما هي عدم رغبة في أن احتجز وراء قضبان إحدى الزنزانات بالسجن حتى نهاية العام .

- أين ستذهب إذن ؟

- رمقها بنظرة خاطفة فتمنت - أكثر من أي وقت سبق - أن تكون مخطلة في رأيها : وهو أنه لابد باحث عن امرأة ما . قالت :

- لا تؤاخذني ما كان ينبغي علي أن أطرح مثل هذا السؤال الأحمق .

- لا عليك . ينبغي أن أحصل على من يقضي أعياد الميلاد معي .

- من ؟ رجل أم امرأة ؟ كان من الصعب على "ميللي" أن تتصور أنه سيذهب إلى أحد أصدقائه . لكن على ضوء الأحداث الماضية ما من شك في أنه سيظل حبيس "قبيلة" .

التفتت نحوه فالتقت نظراتهما . سالها :

- لماذا كل هذا الاهتمام ؟

- أنا ؟ ولماذا اتجه تفكيرك إلى شيء كهذا ؟

فقال مفكرا :

- لا أدري . لكن على الرغم من أننا لم نتعارف إلا منذ فترة وجيزة جدا أشعر وكأن رباطا خفيا يجمعنا كلا بالآخر .

ذهلت والتزمت الصمت انتظارا لما سوف يلي .

- أحيانا أراني أقرا أفكارك بكل سهولة واعتقد أيضا أنه يمكنك معرفة أفكارني حتى باللغة السرية منها .

مضت بضع ثوان من الصمت اقتنعت خلالها بما قال . خاصة وأن قوة ما لم يمكنها السيطرة عليها . كانت تدفعها بعنف نحوه مثل نبض غريزي أو مثل جاذبية لا تقاوم أو تيار كهربائي قوي .

قال بعد فترة صمت استجمع فيها أفكاره :

- ما إذن تلك المخاوف التي تقلقك ؟

- لا أحب أن تقضي أعياد الميلاد وحيدا .

- سوف أعرف كيف أسعد نفسي .

وابتسم إليها واضعا يده فوق يدها فغمرت "كاميللا" سعادة لم تعرفها من قبل . اغمضت عينيها . قالت بعد انقضاء بضع دقائق :

- نقترب الآن من بيتك . اليس كذلك ؟ شعرت بذلك من خلال التوتر

الذي بدأ يسيطر عليك .

فقال معترفا وهو يضحك :

- أصبت .

ترك الطريق السريع واخترق بقعة خضراء تكسوها الثلوج إلى حد ما . ثم توجه نحو رابية تتباهى بعدد من الفيلات الفاخرة المشيدة فوق متنزه خاص شاسع .

وفجأة أطلق "كين" قسما وتفهمت "ميللي" السبب على الفور إذ كانت تراقب الطريق من أمامها .

الفصل السادس

رأت إحدى سيارات الشرطة تصل إلى المكان وتتجه إلى الممر الخصوصي المؤدي إلى الفيلات . حرص "كين" على السير من خلفها سالكا طريقه !

ارتسم على وجهه غضب شديد :

- الشخص الوحيد الذي يعرف عنواني هو أمي .

- والدتك ؟

لا . يستحيل على الأم خيانة ابنها ! ومع ذلك لم تصبح "ميللي" واثقة تماما بهذه النظرية .

قال وهو مشغول البال :

- لابد أنهم استخلصوه منها غدرا وهذا ما يقلقني .

فقال "ميللي" :

- ربما لا يتوجه رجال الشرطة إلى فيلتك على الأقل . هذا الممر يضم

ثلاثين أو أربعين منزلا كما يبدو لي وليس منزلك فقط .

اطلق ضحكة ساخرة فعلمت أن ما توقعه ليس مجرد تصور .
واصل السير في صمت تام وبدأت خطة الفرار وكأنها قد افسدت .
ينبغي عليه أن يفكر في مكان آخر يذهب إليه . قال "كين" فجأة وكأنه قد
قرأ أفكارها :

- اتساءل الآن : ما أفضل مكان يمكنني اللجوء إليه ؟ في رأيي أن
جميع المطارات ومحطات السكك الحديدية أصبحت مراقبة الآن .

- يمكنك أن تعود إلى بيتي .

- لا . لا أريد لك أن تتعرضي لأذى خطر .

- انتبه . هذه سيارة شرطة ثانية .

- قصي عليّ مسرعة رواية مضحكة .

فاجابته ضاحكة بشكل واضح وهي تلتفت نحوه :

- كما لو كان يمكنني في هذه الظروف أن أتذكر شيئا مضحكا .

ظلت تبتسم املا في ألا تلفت هذه السيارة التي يستقلها رجل

وامرأة نظر الشرطة في بحثها عن رجل بمفرده .

قال "كين" على أثر نظرة إلى امرأة الرؤية الخلفية :

- سلكنا طريق القيلات . وجود سيارتي شرطة في هذا الحي

السكني ليس بالأمر الطبيعي . أنا من يبحثون عنه . "ميللي" لنعد إلى

ساحة الانتظار الملحقة بالمدرسة وهناك يمكننا الاستقرار على ما يتعين

عليّ عمله .

- يقلقني أن تعود إلى هذه المنطقة المزدحمة برجال الشرطة . لكن

يسعدني أن تقيم ببيتي مادام البحث عنك جاريا . هل أمامك حل آخر ؟

هز رأسه عائدا إلى الطريق السريع . قطع رحلة العودة مسرعا وفي

صمت تام . وعندما أوقف السيارة بفناء المدرسة قال متسائلا :

- هل أنت واثقة بأنك لن تقدمي على هذا العرض ؟

- تمام الثقة .

طبع على وجنتها قبلة عابرة وغادر السيارة . اتخذ مكانه بداخل
حقيبتها بعد ذلك وعادت "ميللي" إلى بيتها دون صعوبة تذكر .

كان الحصار قد تم تعزيزه بعدد آخر من رجال الشرطة ، لكنهم لم
يابهوا بتلك المركبة الصغيرة التي اخترقت ذلك القطاع الواقع تحت
المراقبة .

وبعد أن أصبحت في حماية البيت استأنف "كين" و"ميللي"
مناقشتهم :

- في رأيي أن شخصا ما قد نجح في أن يحصل على ذلك العنوان
بالقوة من والدتي . لا يمكنني أن أرى تفسيراً آخر لوجود الشرطة عند
الفيلا الخاصة بي .

ظل يذرع حجرة الاستقبال سيرا واضعا يديه في جيبه . بدا بالغ
الجمال طاغي الرجولة حتى إن "ميللي" لم تستطع أن تحول بصرها
عنه .

- يمكنك الاتصال بمحاميك من هنا . وإن تستخدم مخابرا سريا
أيضا كما كنت تعتزم .

اقترب منها حيث أمسك بخصلة شعرها . ظل يعبث بها بين
أصابعه . لكن ما قاله كان بعيدا كل البعد عن أنه إجابة على ما
اقترحته "ميللي" عليه :

- إنك فاتنة يا "كاميلا" .

- شكرا ...

امتدت يدها إلى الذبذبة لتمر من فوقها . أوقف حركتها قبل أن تكتمل
وامسك برسغها :

- لا تفكرين إلا في هذه العلامة ؟ أما أنا فلا أفكر إلا في جانبيتك
وفي سحرك وفي فتنتك .

لم يثر الهدوء الذي قال به تلك الكلمات وانتقاؤه تلك الصفات النادرة والافتناع الواضح في نبرات صوته في 'ميللي' ابتسامة مشرقة بل أثار نبع دموع . طوقت 'كين' بذراعيها واضعة وجنتها على وجنته ثم همست في أذنه :

- أنت رجل غير عادي يا 'كينيث هولويني' .

كبحت مشاعرها وضحكت وهي تقول له ذلك . ثم أبعدت بعد ذلك رأسها عنه قليلا لتتأمل في عينيه مباشرة فازعجها مرة أخرى إحساسها بالضعف في مواجهته . كانت على استعداد لأن تفعل أي شيء في سبيل إرضائه حتى لو كان في عداد الحماقات . أملت أن يكون راغبا إياها بحق متمنيا أن يمتلكها روحا وجسدا . لكن لماذا هذه الأحلام بعيدة المنزل ؟

ابتعدت عنه متنهدة :

- الهاتف في حجرتي . ستكون هناك بمفردك وحيث يتوفر لك الهدوء التام .

قال معترضا :

- وجودك لا يزعجني .

خلع معطف المطر وأمسك بديل أرقام التليفونات :

- سبق أن تعاملت مع أحد المخبرين السريين وكان إنجازهم مرضيا للغاية . لو أنني فقط أستطيع أن أتذكر اسمه ؟ للأسف إنني قد دوتته بدفتر أرقام التليفونات الموجود بمكتبتي .

- ما رأيك في عجة بالجبن للغداء ؟

قال شارد الذهن :

- عظيمة . أه ! لقد وجدته ! اسمه 'جيسي إبرلي' .

بينما كانت هي مشغولة بالمطبخ بقي هو بحجرة نومها . توالى الاتصالات وحرص 'كين' على ألا يدلي بأية معلومات عن المكان الذي

يختبئ فيه .

بعد أن انتهى من محادثاته رأى 'ميللي' تدخل إليه حاملة قدحين مملوعين بالقهوة وبعض الرقائق الساخنة .

قال مزمجرا :

- لا يمكنني أن أفهم السبب في أن أحدهم يريد أن ينال مني إلى حد الإيقاع بي في هذا الفخ . لا . لا أعرف أحدا على هذا القدر من الغدر .

فقالت :

- لكك تعلم أن ملايين الدولارات هي المقابل لهذه اللعبة .

- هذا صحيح ...

لكن تفكيره اتخذ منحني آخر .

- 'ميللي' سوف أعود في غضون دقيقة واحدة . لم يزل لدي اتصال هاتفيان مهمان ...

غادرت الحجرة متوقعة أن يتصل بامرأة . ويفضل الحديث معها في غير حضور طرف ثالث . توجهت 'ميللي' إلى حجرة الاستقبال مثقلة الفؤاد .

انضم إليها بعد برهة قصيرة . وضع يديه على كتفيها قائلا :

- حسبت حساباتي : وجدت أن ربع الساعة على الأقل قد انقضى

دون أن أضمك بين ذراعي . وهذا زمن طويل إلى حد لا يحتمل .

تركته يعانقها محاولة ألا تفقد هدوء أعصابها ثم قالت :

- الغداء جاهز .

كانت قد وضعت كل شيء فوق مائدة حجرة الاستقبال المنخفضة .

اتخذا مكانهما وبدأ تناول الوجبة .

- ينبغي علي أن أكون بالإرسالية بحلول الساعة الثالثة .

فقال متعجبا بضيق :

- ماذا ؟ هل تتركيني بمفردي ؟ وبلا شيء أشغل به وقتي ؟

- هل هذا سيئ جدا ؟

- نعم .

ظننت في بادئ الأمر أنه يمزح لكنها تفهمت أنه على الرغم من مظهره الهادئ كانت أعصابه تجتاز تجربة قاسية وأن وجوده بمفرده بدون من يتحدث معه لن يساعده على احتمال القلق المستبد به .
قالت :

- اتساءل : ما إذا ... ؟

- ماذا ؟ ماذا ؟

أشرق وجهه في الحال كما لو كان قد اعتاد أن يجد لدى 'ميللي' الحلول لمشكلاته . لكنها كانت تفكر في شيء آخر غير أن تؤنس وحدته .
قالت :

- خطرت بذهني كلمات 'وولتر بويلين' وهو يحتضر . سمعتك عن بعد ترددها للمخبر فاتجه تفكيري إلى شيء ما لغت انتباهي... إن عبارة 'موت بطيء' أو 'مورلانت' باللغة الفرنسية غير متسقة مع باقي كلماته . ألا ترى ذلك ؟

- هذا صحيح لكنني لا أرى أي تفسير لذلك .

- حسنا .. لننتصور أنك أخطأت في تفسير ما - لابد أنه - كان ينطق به بمنتهى الصعوبة .. مثلا بدلا من أن يقول لك 'موتا بطيئا' أو 'مورلانت' بالفرنسية التي حدثك بها ربما أنه قد ذكر لك اسم قاتله .. أحد الرجال الأربعة الذين ذكرتهم لي ... أي 'مورلاند' . ما رأيك في هذه النظرية ؟

- يا إلهي !

نهض 'كين' بقفزة مقطبا حاجبيه :

- بالتأكيد ... دائما ما أثار 'مورلاند' سخطي بظموحه غير المحدود .

'مورلاند' ! هذه هي الكلمة التي أراد 'وولتر' أن يقولها لي عندما أمسك بياقتي قبل وفاته مباشرة .

مرر يده فوق شعره وهو يذرع الحجرة بخطاه ثم قال بصوت خافت سوف أتصل بـ 'جيسي إيرلي' على الفور ...
ثم توقف عن السير وأسرع إلى جوار 'ميللي' بينما احتوى وجهها في يديه قائلا :

- إنك جوهرة نادرة ! لا مثيل لك في الوجود كله .

طبع قبلة على شفتيها ثم أسرع نحو الحجرة كي يجري اتصاله الهاتفي . عاد بعد بضعة لحظات مشرق الوجه يعبر عن شديد إعجابه :

- يا له من عقل !

فقالت متواضعة :

- استنتاج بسيط وقدر من الحس وحسن الحظ .

قال وهو يطبع قبلاته في كل مكان بجسدها :

- اسمحي لي بأن أقدم لك عرفاني بجميلك .

عندما استعادت هدوءها أدخلت يدها بقميصه نصف المفتوح وربتت صدره العضلي ببطء .

قالت :

- لسوء الحظ إنني مضطرة إلى إنهاء هذه الجلسة الهادئة لكن أود

أن أطرح عليك سؤالا : هل يمكنك استخدام إبرة الحياكة ؟

- لا . إطلاقا . كان لي دائما في محيطي نساء قادرات على إنجاز

أعمال الخياطة . ولماذا هذا الاستفسار ؟ لديك زر تريدين تثبيته ؟

- لا . لكن لا يزال أمامي ساعة من الزمن تقريبا قبل أن أذهب إلى

الإرسالية ولدي عمل يتعين علي إنجازة قبل أن أتوجه إلى هناك .

أحضروا إلي بعض الملابس التي يتعين علي أن ألقى نظرة عليها وأن

أجري بها أية إصلاحات يقتضيها الأمر قبل أن أحملها إليهم هناك .

ينبغي أن أسرع ...

بينما جلست قريبة من المدفأة وأخرجت الإبرة وبدأت العمل اخذ "كين" يزرع الحجرة بخطاه وقد سيطرت على ذهنه تلك الجزئية المحتملة من المأساة التي قلبت حياته رأسا على عقب . استبد "ميللي" الخوف وهي تراقب حركته :

لن يتحمل "كين" قط جمود الحياة في زنزانة السجن . اغمضت عينيه وأخذت تدعو له .

جلس بجوارها ممددا ساقيه وواضعا احد كعبيه فوق الآخر .
- "كاميلا" ؟ هل نمت ؟

- لا . إنني أفكر فيك . لا أنصحك بالبقاء هنا أثناء غيابي .

- وماذا تقترحين ؟

- حسنا ... لماذا لا ترافقني ؟

- لقد فقدت صوابك !

- لا . لن يخطر ببال الشرطة قط البحث عنك بين جموع المحتاجين .
كذلك لن يسالك أحد هناك عمن تكون ؟ وسوف يسمح لك بالدخول على الفور .

- شكرا لك . لا أريد الذهاب معك إلى الإرسالية وأفضل البقاء هنا .

- لتواصل السير في أرجاء الحجرة ؟ سوف تستهلك الموكيت .

- ضحك ثم تجول بالحجرة مرة أخرى وعاد ليجلس بجوار "ميللي" .

- كيف يبدو أولئك القوم الموجودون بالإرسالية ؟

علمت عندئذ أنه قد قبل أن يذهب معها . لكن كانت هناك مشكلة . لو

أن "كين" ذهب إلى هناك مرتديا ثيابه المشتراة من أفضل بيوت الأزياء بالولاية وأرقاها فلن يمكنه اجتناب استفسارات أقل الناس فضولا . وبذلك لن يصدق أحد أنه عاطل معوز أو حتى فاعل خير أتى للمعاونة . حسبت "ميللي" حساب ذلك .

- ما رأيك في أن تختار شيئا مناسباً من بين هذه الملابس . لابد أن يكون بينها ما يناسب مقاسك . كما تعلم إنها نظيفة وليست جديدة تماما ولا بالية . أعطيت إلي من بعض الأقارب بسبب حداد بالأسرة أو لأسباب أخرى . انظر .. هذا البنطلون الجينز الأزرق وهذا القميص الصوفي لابد أن يكونا على مقاسك .

قبل "كين" شاكرا أن يستبدل بثيابه تلك التي أعطته إياها . بينما عادت "ميللي" إلى الحمام كي تستعد لمغادرة البيت . وبدلاً من أن تجمع شعرها فيما أسماه بكعكة بشعة صففته في ضفيرة كثيفة تركتها تسقط فوق ظهرها . هل يفضل هذا الأسلوب الجديد في تصفيف شعرها ؟

عندما عادت إلى حجرة الاستقبال لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك عندما رأت "كينيث هولويني" ذلك الرجل نادر الأناقة في ثياب ضيقة - قليلا - على قوامه العضلي القوي . قال :

- أتساءل : هل يمكنني الجلوس ؟

ومع ذلك عندما أجرى المحاولة لم يصب الملابس بأي فتق . توجهها بعد ذلك بوقت قصير إلى السيارة . سألها :

- تحت أي اسم سوف تقدميني ؟

- لا أعلم بعد . سوف ابتكر لك اسماً مناسباً في آخر لحظة .

- إنني واثق بقدرتك على ذلك . لا تأخذيني قط على حين غفلة . شيء

آخر : هل يمكنك التوقف بالمدينة وإجراء المشتريات من أجلي ؟

- بالتأكيد .

فتحت حقيبة السيارة ووقف يتأمل المكان الضيق المعروض عليه .

قال مبتسماً :

- أريد زجاجة مشروب معين من إنتاج "كاليفورنيا" وبعض الملابس

التي سوف أعطيك مقاساتها ثم ..

بينما كانت "ميللي" تصغي إلى قائمة طلباته وضعت حقيبة الملابس فوق المقعد الخلفي للسيارة . قال "كين" معلقا ببساطة بعدما احتل مكانه :

- إنني - على الأقل - أفضل أن أكون على هذا الوضع خيرا مما أكون عليه وراء القضبان . أكرر لك شكري يا حبيبتي .

فارت كلمة حبيبتي شفتيه على نحو طبيعي جدا بحيث أصابه بالدهشة . لم يبد على "ميللي" أنها قد سمعته ومع ذلك كان يعلم أنها قد سجلت تلك الكلمة بذهنها بينما ظنت هي أنه قد استخدمها على نحو عادي دون أن يعلق عليها أدنى أهمية .

كانت الإرسالية في منطقة شعبية من "كولورادو" تالفت مبانيها من منزل عتيق ملحق به چراج ومحل لبيع الملابس الجاهزة . رأى "كين" وهو يغادر سجنه أن المظهر العام للمكان لم يكن جذابا . حمل حقيبة الملابس وسار خلف "ميللي" .

عندما اجتاز الباب الخارجي . دهش لرائحة القهوة المتميزة التي اشتمها . كانت القاعة الفسيحة التي دخلتها قد طليت حديثا باللون الأخضر الباهت وتطل على مطبخ متواضع كل ما فيه أبيض . شغل عدد من الحاضرين بإزالة بعض البقع من الحجرة بينما قدمت "ميللي" رفيقها بابتسامة عمت الجميع :

- "جيرري" أقدم لك صديقا ...

ولم تتردد أكثر من ثانية واحدة قبل أن تستطرد قائلة :

- "جك" . "جك" أقدم لك "جيرري" .

تصافح الرجلان وقال "جيرري" مؤكدا :

- أصدقاء "ميللي" أصدقاءنا .

تاكد "جك" المزيف من أن "ميللي" لم تخطئ عندما أكدت له أنه سوف يكون في امان تام بالإرسالية . لأن الشرطة لن تبحث عنه وسط هؤلاء

من غير ذوي الماوى .

أخبرته "ميللي" فيما بعد في حديث جانبي :

- لا نستخدم هنا سوى الأسماء الأولى في التخاطب لكن إذا اضطرتني الظروف إلى تقديم قانوني أرى أن أعطيك اسم "جك" برانس . ما رأيك ؟

- هائل .

تعرف "كين" هناك على قطاع من المجتمع لم يتعرض له من قبل . يتألف جزئيا من فعلة الخير ومن بينهم "ميللي" ومن المعوزين الباحثين عن ملجأ وعن القهوة وعن العمل أيا كانت نوعيته . لم يمض وقت طويل حتى وجد نفسه - لدهشته - يرتدي مئزرا معقودا حول خصره . جالسا أمام منضدة يقشر البطاطس . رأى في هذا الوضع الغريب نوعا من التسلية . قام بعمله هذا بحماس وهو يثرثر مع زملائه .

في أقل من أربع وعشرين ساعة عاش من الأحداث ما أدهشه أكثر من أي شيء آخر طوال حياته ... لا شيء باستثناء ابتسامة "ميللي" التي التفت حولها قلوب المترددين على تلك الدار .

دفع قادم آخر الباب ... صعلوك مسكين كاد أن يكون اصلع اثرم (سقطت سنه) . رفعت "ميللي" صوتها وهي تحدته فاستنتج "كين" أنه اصم أيضا .

- صباح الخير يا "شارلي" .

- صباح الخير يا حسناء .

- أه ... أراك مجاملا كعادتك !

كيف امكنها أن تكون سعيدة مرحلة منشوحة وسط هذا المجتمع التعس ؟ لم يفهم .

في الساعة الحادية عشرة سلكت "ميللي" و"كين" طريق العودة . تساقط الجليد في ندف خفيفة مزعجة بكل المقاييس . سألته "ميللي" :

- مستعد لدخول الحقيبة ؟

- مستعد وإن كنت أتساءل : هل سأنام أثناء الطريق ؟

- لست معتادا أن تعمل إلى هذا الحد المتعب . ليس كذلك ؟

- هذا صحيح . في كل مرة تذهبين فيها إلى الإرسالية يكون لديك

مثل هذا القدر من العمل ؟

- تتغير الظروف دائما . في الشتاء حيث الثلوج وقسوة الطقس

تتزايد أعداد أولئك الباحثين عن مأوى وعن الدفء . أما في الصيف

فألعمل أقل وطأة .

قال :

- أنت بنت طيبة .

ووضع يديه على كتفيها . أجابته بنبرة مرحة :

- وأنت أيضا لست ولدا سيئا .

رفعت الشرطة حصارها عن المنطقة . ولما غادر "كين" حقيبة السيارة

أخبرته "ميللي" بذلك :

- لقد زال كل خطر . سيكون بوسعك أن تتولى قيادة السيارة .

عندما نطقت بأخر كلماتها أحست بذراعين قويتين ترفعانها عن

الأرض لترتطم بصدر عضلي عريض . شكلت ندف الثلج التي تساقطت

بكثرة حاجزا بينهما والتصق بعضها بأهداب "كين" . استطاعت أن

تتعامل معها عن قرب ... عن قرب شديد بينما أعادها برفق إلى

الأرض .

- حسنا ... حسنا .

ضحكت بين نراعي "كين" اللتين كادت أن تكبحا صوتهما . قال دون أن

يرخي قبضته عليها بأي قدر :

- أحلم بهذه اللحظة منذ ساعات . أكاد أفقد سيطرتي على أعصاب

ساقى .

أجابته مرحة :

- في سياق الحديث عن السائقين بدأت ساقاي تخوران . الجليد

يتساقط بغزارة كما ترى ولدي بالداخل مدفأة ونار .

- وهل هذه ضرورة حقا ؟

- أتساءل : هل ستكف يوما ما عن أن تنتصر عليّ هكذا ... ؟

كانت تقول ذلك مازحة لكن لم يمكنها إكمال عبارتها لأن شفتي "كين"

استولتا على شفتيها ماحيتين كل فرصة أمامها للفرار . نسيت البرد

كما نسيت ارتعاش ساقيهما .

قال أخيرا :

- للدخل . إذا كان ذلك لا يتعارض مع رغبتك . سوف ارتدي ثيابي

لأن هذه غير مريحة .

- اشتريت لك الملابس التي طلبتها مني .

- حسنا . سارتديها إذن وبعد ذلك أتصل بـ "جيسي إيرلي" تحسبا

لأن يكون عنده أخبار لي .

أعدت "ميللي" - بينما كانت تدندن بلحن مرح - مشروب شوكلاتة

حملته إلى منضدة حجرة الاستقبال مع كوبين ووعاء سكر من الفضة .

تراقصت السنة الذهب مرحة بالمدفأة . غادرت الشرطة المنطقة وأسهمت

ندف الثلج المتساقطة في السعادة التي أحسستها وهي جالسة فوق

الموكيت في انتظار "كين" .

جاءها مرتديا بنطلونا جديدا من الجينز مع قميص صوفي باللون

الرمادي الضارب إلى الزرقة . كان شعره مصففا إلى الخلف لكن

خصلتين منه سقطتا فوق جبينه . أزعجها مظهره المهموم .

- أخبار غير سارة ؟

- نعم . 'جارلاند فيكرز' نزيل المستشفى في انتظار أن تجرى له عملية جراحية . 'الآن مورلاند' سافر إلى 'الاريزونا' منذ يومين ومن المقرر أن يعود غدا . 'جون إدوارد' كان حاضرا احتفالا مساء امس . اما 'بوب جنسن' فكان يتحدث مع أحد مستشاري الفنيين طوال الأمسية يوم امس . وبذلك لم يثبت وجود أحد منهم بمكان وقوع الجريمة .

- أكون بذلك قد انتحيت منحني خطأ .

قال وهو يجلس بجوارها :

- لا اعتقد ذلك .

لأن بصمت تام حرصت على ألا تزعجه . تناول بعد ذلك مشروبه وأخذ يشتم رائحته بسرور :

- سألت 'جيسي' هل من الممكن أن يكون أحد هؤلاء المشتبه فيهم قد استأجر قاتلا لاقتراف الجريمة ؟

- ماذا ؟ يستأجر شخصا ما ليقتل إنسانا ؟

- بالتأكيد . ولا أرى تفسيراً آخر . علمت كيف قضى 'مورلاند' بالذات وقته فعلمت أنه في يوم الجمعة شارك في اجتماع شهد العشرات حضوره إياه . من المستحيل أن يكون قد استطاع أن يتغيب وقتا كافيا لأن يأتي فيه إلى هنا ويقتل 'وولتر' ثم يعود إلى 'الاريزونا' . مستحيل . وهذا ما يوحي إلي بأنك أصبت الرأي . لأن 'وولتر' قد نطق اسم 'مورلاند' قبل أن يموت .

- لو أردت يا 'كين' بإمكانني أن أطلب تأكيدا لحضور 'مورلاند' ذلك الاجتماع في 'الاريزونا' وبإمكانني أيضا أن أعرف ما إذا كان قاتلا محترفا قد تم استئجاره أم لا ... أعرف شخصا ما بالإرسالية يمكنه التوصل إلى تلك المعلومات دون أن يطرح أية استفسارات .

- بالإرسالية ؟

- نعم . لأننا نعلم قدرا طفيفا عن كل شيء . بعض المترددين على الدار ممن يثيرون مخاوفي ليسوا على مستوى من الثقة . لهم اتصالات بجميع المجالات خاصة في تلك الناحية التي يجري فيها استخدام معتادي القتل والإجرام .

- حسنا ... اكتشف فيك الجديد مع مرور الساعات . لكنني أقبل منك هذا العرض يا 'ميللي' وإنني على استعداد لدفع مكافأة مجزية في مقابل هذه المعلومة .

بدا مشغول البال وهو يمرر أصابعه في شعره حتى أفسد تصفيفه قال محدثا 'ميللي' بثقة كبيرة :

- لا أدري ما القرار الأنسب الذي يتعين علي اتخاذه بشأن نقطة انطلاقي التالية ؟ الآن وقد خلا الجو ... لكن ليست لدي أدنى رغبة في أن أقضي أعياد الميلاد . أجتر قلقي ومخاوفي . 'ميللي' .. ستقضين ليلة العيد بالإرسالية ؟ هل تظنين أنه ... قاطعته وقلبها يخفق بالامل :

- أبق معي .

- هل تريدان ذلك حقا ؟

فهم من التعبيرات التي أشرق وجهها بها أنه لا شيء غير ذلك يمكنه إسعادها إلى هذا الحد .

- والحال كذلك .. أوافق . وبعد أعياد الميلاد مباشرة سوف أطلب منك إبعادي عن هنا حتى إذا ظل القاتل مجهولا أقوم بتسليم نفسي إلى الشرطة أو بمعنى أصح سأقدم لهم حقيقة الظروف التي أوجدتني في بيت 'وولتر' في ذلك المساء التعس .

أعاد كوبه إلى المنضدة سعيدا أن ليس لديه ما يقلق بشأنه في

- أريد أن أنسى كل شيء عما حدث في ذلك المساء . اتصلت بوالدتي واحفظتها علما بما أنا فيه . سألتها عن موضوع القفلا . اتصل مجهول بها منتحلا اسم "بن ورتلي" أحد محامي راجيا أن تعطيه عنوان القفلا متعللا بأن الأمر متعلق بمسألة حياة أو موت . أصر أيضا أن يحصل منها على رقم هاتفه هناك . لعلمك : إن "بن ورتلي" اسم مزيف .

- لكن كيف أمكنه الاتصال بوالدتك ؟

- هناك من يعرفون رقم هاتفها لأنني في أوقات الضرورة كنت اطلب منهم الاتصال بي عندها . "وولتر" مثلا يحتفظ برقمها ومن يدري إلى من أعطاه ! والآن لا يعلم أحد أنني مقيم عندك . لندعنا من الحديث عن هذه المسألة ونفكر في أشياء أخرى أكثر سرورا .

رق صوته وانخفض بمقدار نبرة وبدت نظرفته حانية . حل جديدة شعرها وأثار لمس أصابعه فيها إحساسا أشبه بماس كهربائي . يا لها من جاذبية لا تقاوم تلك التي يمارسها عليها !

انسدل شعرها متموجا فوق كتفها في موجة طبيعية ، تنائر فوق البريق . خفض "كين" رأسه وأخفى وجهه في شعرها . جعلها بعد ذلك تستدير نحوه وأسند رأسه الأشعث فوق كتفها بينما انكب يقبل وجنتها وانتقلت "ميللي" إلى عالم رائع لم تعرفه من قبل .

انقضت الساعات التالية أمام المدفأة دون ما حركة تقريبا . تبادل القبلات وهما ملتصقان وعلمت "ميللي" أنها سوف تحتفظ طويلا بذكرى هذه اللحظات المدهشة المخيفة على حد سواء - سيكون لقاء هذا الرجل - الذي نبع من الضباب وأعياد الميلاد على الأبواب ليزعج حياتها الهادئة - موجزا جدا . لكنها لم ترغب في أن تفكر في ذلك بل

تمسكت بأن تعيش تلك السعادة الغامرة التي تستشعرها في وجوده وتستمتع بها إلى أقصى حد ممكن .

#

عقدت مساء السبت اجتماعا سريا مع ثلاثة رجال من الإرسالية هم: "بارني" و"ميرف" و"جويل" وعدوها بمساندتهم إياها بلا حدود . وكان يوم الأحد بعد ذلك . سطعت الشمس بحرارة أشعتها على جليد ناصع البياض وكان الجو باردا ، لكنه كان منعشا لحظة أن خرجت "ميللي" من شقتها لتأخذ الصحيفة اليومية .

رات أن رد فعل المقال الذي كتب عن "كين" سيكون عنيفا جدا عليه . لكن كيف يمكنها إخفاؤه عنه ؟ كان ينتظرها وهو يتناول بقية فطوره . رآها تعود نحوه . لم يبد لها من قبل على هذا القدر من الجاذبية وهو مرتد بنظرونه الجينز وقميصه الأزرق الذي يحاكي لون عينيه . اكتفت أمام نظرفته المتسائلة بأن تهمس له قائلة:

- لا داعي لأن تقرأ صحيفة اليوم . لا جدوى منها .

- أريد أن أعرف ما الذي يقلقك بشأنها .

- حسنا . سوف أطلعها بصوت عال .

هز رأسه وأمسك بالصحيفة التي أعطته إياها نادمة .

ظهرت نسخة مكبرة من الصورة التي كان ضابط الشرطة قد عرضها عليها ليلة الجريمة بالصفحة الأولى من الصحيفة وكتب عليها بالأحرف الكبيرة : "المشتبه فيه الذي لا يزال هاربا كين هولويني" ! وظهر المقال على الصفحة التالية ومعه صورة شقراء مبتسمة . أكد المقال عدم قدرتها على الإدلاء بآية معلومات عنه : ليست لدي أدنى فكرة عن المكان الذي التجأ إليه . كان وجهها مألوفاً لقراء المجلات إنها "شيريل اندرسون" إحدى المبع العارضات بالولايات المتحدة وأشهر

فتيات الإعلان عن السلع الفاخرة وعن المجوهرات والسيارات على حد سواء .

رصدت "ميللي" تعبيرات وجه حبيبها "كين" . تلفظ ببضع كلمات سباب صادقة . قرأت "ميللي" مسرعة أهم ما كشفت عنه غريمتها: "كان من المقرر أن نقضي عطلة أعياد الميلاد بسويسرا ... لم يتصل بي على الإطلاق ... أه ! لا . إنني واثقة ببراعته . من المستحيل أن ... نعم . هذا صحيح . أعرفه جيدا . كذلك اتكلم عن علم بالشيء ..."

واطلت من بين شفثيها الرقيقتين ابتسامة ساحرة كاشفة عن الأسنان ناصعة البياض بينما كلل رأسها تاج نادر من الشعر الأشقر وارتفع ذقنها بحركة تنطق بالثقة بما تقول . يا له من جمال ساحر ! امرأة خلقت من أجل "كين" ... هذا ما رآته "ميللي" .

لن يتاح لـ "ميللي" قط مجرد الادعاء بالانتماء إلى هذا العالم البراق الثري الراقي الذي يتحرك "كين" و"شيريل" فيه على نحو طبيعي لا عقد فيه ولا مشكلات . لقد التقت منذ يومين بأحد أفراد هذا العالم لكن الحلم لا بد أن ينتهي وبقسوة .

قالت تحدث نفسها في صمت : " "ميللي" لن يبقى لك سوى الذكريات الجميلة ... عليك أن تضعي ذلك نصب عينيك ! "

قال "كين" مزجرا :

- لسنا سوى صديقين حميمين لا خطيبين كما يدعي كاتب المقال . هذا فضلا عن أنني كنت أواعد "شيريل" قبل أن التقي بك .

- "كين" .. لا اطالبك بأي تفسير . لم تعدني بشيء ولن تعدني بشيء قط . كنت أعلم ذلك منذ البداية .

بدا معارضا رأيها إلى حد الغضب :

- كيف يمكنك أن تقولي شيئا كهذا ؟ تنسين بسرعة !

- إنني واقعية .

- ألم أؤكد لك في أكثر من مناسبة واحدة أنني اعتزم أن ألقاك ثانية بعدما تحل مشكلاتي ؟

- هذا صحيح وكنت صادقاً فيما قلت . لكن الرغبة في لقائي سوف تنقشع بمجرد أن تستأنف حياتك المعتادة .

- اتبين فيك فجأة عدم الثقة بالآخرين بعدما أنست فيك من ثقة تامة عمياء بمن لم تعرفني عنه شيئاً .

- لا أريد أن أبني قصورا في الهواء . لا أتوقع من المستقبل شيئاً وبالتالي لن استشعر أي خداع .

أصابته هذه الكلمات قلب "كين" مثل طعنة مدية . فتاة ظريفة كريمة شجاعة إلى هذا الحد ولا تنتظر أي مقابل من أي إنسان !

- "ميللي" إنك متشائمة جدا .

- لست متشائمة بل واضحة .

قال رافعا صوته :

- لا داعي للنزاع وسوف أثبت لك أنني أعني ما أقول .

وقبل أن تتاح لها فرصة الاعتراض حملها بين ذراعيه . حاولت ضاحكة أن تتخلص من قبضته لكنه ظل يقبل كل موضع ظاهر بجسدها حتى تحولت إلى امرأة راغبة فيه تتشبث بعنقه . عندئذ أيقن أنه قد نجح في طرد الشياطين التي أيقظت أمامها صورة "شيريل أندرسون" .

قال وهو يعيدها إلى الأرض لتقف على قدميها :

- كنت محقة . ما كان واجبا أن أقرأ هذا المقال أبداً .

- حان موعد العودة إلى الإرسالية . سوف تنسى هناك هذه الأخبار السيئة . سأنهب بعد ذلك لإحضار "قويو" من عند الطبيب البيطري .

ينبغي أن أجري التعارف اللازم بينكما لأنه كلب حراسة ويعمل على حمايتي من الجميع .

- إنه رفيق ظريف !

توجهت بعد ظهر ذلك اليوم إلى عيادة الطبيب البيطري حيث استردت حارسها . كان "كين" ينتظرها ببيتها وخرج إليها عندما سمع صوت محرك سيارتها .

انطلق "قويو" يقفز في الحديقة وبدأت "ميللي" إجراءات التعارف:

- اجلس عند قدمي يا "قويو" . هذا "كين" صديقي ...

جثا الصديق على ركبتيه وأخذ يربت جسد الكلب ولم تمض ثانية واحدة حتى تحول الكلب الضخم إلى حيوان اليف كأنه قطه.

- يا إلهي ! لديك مغناطيسية غير عادية مع النساء ومع الكلاب!

انظر كيف يهز ذيله !

نهض المروض الذكي متاملا "ميللي" بحنان بينما ظل "قويو" يقفز حوله طلبا لأن يداعبه .

- "ميللي" سوف أتوقف . وإلا تدحرجت فوق الجليد معك ومع "قويو" و...

- وإلا ماذا ؟

- وإلا احتويتك بين ذراعي حتى تكبح أنفاسك .

فقال بركة بالغة :

- أفضل هذا الاختيار الأخير .

الفصل السابع

التزم "كين" و"ميللي" بنظام حياة مرض لكليهما في انتظار حلول أعياد الميلاد ، كانا بمقتضاه يتوجهان إلى الإرسالية يوميا حيث يقضيان بضع ساعات هناك . وكان "كين" قد نجح بما له من خبرة في مجال التنظيم في تبسيط عملية توزيع الملابس مما رفع شعبيته إلى الحد الأقصى من جانب المترددين على الإرسالية .

وفي إحدى الأمسيات كان "كين" مشغولا بإعداد طبق من المكرونة عندما دفع "جويل" الباب وناداه . كانت "ميللي" في تلك اللحظة تعد المائدة . سمعت نداء الرجل فالتفت بنظرة خاطفة نحو "كين" فرائته يغادر الحجرة .

عندما عادا إلى بيتها أحاطها "كين" علما بما حدث :
- لقد زودني "جويل" باسمين . حين نصل إلى البيت سأتصل بـ"جيسي" هاتفيا .

خلع معطف المختر وعلقه على المشجب وطلب رقم 'جيسي' . كانت 'ميللي' بالحمام تعيد تصفيف شعرها .

اختلفت الصورة التي عكستها مرآتها عن تلك التي اعتادت رؤيتها إلى حد كبير . من الآن فصاعدا سوف تترك شعرها منسدلا على كتفيها مادام 'كين' يحبه هكذا . بدت وجنتاها من فوق قميصها الصوفي الأزرق متوردتين بلون رقيق . كما أكدت لمسة الماكياج بريق عينيها . بدت كامراة مختلفة نتيجة لزيئة الوجه أو الأسلوب الجديد في تصفيف الشعر . أضاء وجهها نور داخلي كان 'كين' المسؤول عنه . اقتربت من المرأة تتأمل الندبة عن كثب . منذ اللحظة التي أكد 'كين' فيها أنه لا يلحظها لم تعرها 'ميللي' أي اهتمام رغم أنها اتخذت شكل خط مائل امتد من تحت أنفها ، وللمرة الأولى التي تتأمل نفسها فيها بعين مجردة رأت أنها جميلة .

تهللت فرحا وذهبت تبحث عن 'كين' :
- هل أمكنك الاتصال بـ 'جيسي' ؟
- نعم وسوف يقتفي الأثر الذي أشار صديقك 'جويل' إليه .
وزاغت نظرتة إلى بعيد . عرفته 'ميللي' الآن وعلمت أنه من الأفضل ألا تزعجه لأنه مستغرق في التفكير .
عندما عاد إلى أرض الواقع وقد استرخت ملامحه مؤكدة أنه قد طرح قلقه جانبا بدأت 'ميللي' تضحك :
- ما رأيك في أن نصنع رجل الثلج معا ؟

- لابد أنك قد فقدت صوابك ! إنني منهك القوى بعد غسل وتجفيف عشرات الأطباق ولم يحن منتصف الليل بعد . لا أحد يصنع رجل الثلج في ظلمة الليل .

- لا . لست فاقدة الصواب . استخدم ذكائك ! إذا رأى رجل شرطة

مثل هذه القطعة الزينية في حديقة منزلي فهل من الممكن أن يراوده أدنى شك في أنني أووي مجرما خطيرا تحت سقفي ؟

هز راسه ضاحكا تائرا ثم وضع يده بين يديها قائلا :

- يا لك من عبقرية ! ماذا كنت لأفعل بدونك ؟

ارتدت 'ميللي' السترة الحمراء ذات غطاء الرأس وارتدى 'كين' السويتير الجلدي الذي كان قد طلب منها شراءه . أصيب 'قويو' بابتهاج محموم عندما رأى صاحبته وصديقها يكومان الثلج بارتفاع رجل فابدى رغبة في أن يسهم في هذا الاحتفال .
قال 'كين' مقترحا :

- لنصنع أيضا كلبا من الثلج بجوار الرجل .
- للأسف إن هذا قد ينطوي على خطورة ما . تخيل لو أن أحد المصورين عن له أن يلتقط بعض الصور لهما . لا نريد أن نلقت النظر إلينا لأي سبب .

اذعن لرايها وسرعان ما وقف أمامهما رجل وسيم وضع له زران اسودان مكان العينين . وقفا يتأملانه بإعجاب وسرعان ما فقدت 'ميللي' قدرتها على مقاومة إغراء اللعب بالثلج . جمعت قدرا منه وشكلته على هيئة كرة صوبتها في اتجاه 'كين' فاصابت كتفه . جرى مسرعا من خلفها ولانته هي بالفرار أمامه حتى لحق بها وبدأ يتدحرجان فوق الجليد مبتهجين حتى شاركهما 'قويو' اللعبة ثم علا نباحه .

- كفى ! كفى ! بدأت ارتعش ...
- لو كان هذا إحساسك بحق لما توربت وجنتاك واتقدت عيناك .
كان شبه راقد فوقها يلهث بعد ممارسة ذلك القدر من التدحرج . بعث وجه 'ميللي' المشرق فيه سعادة حقيقية :

- تبدين سعيدة ...

- لأنني معك .

قالت ذلك تلقائيا وبدون تفكير استشعرت انسحابا من جانبه اثار فيها القلق وإن لم تفصح عيناه ولا صوته ما دار بذهنه . اكتفى بأن اقترح عليها :

- ما رايك في سباق آخر حتى باب البيت ؟

- لا بأس .

نهض قافزا متاهبا للانطلاق لكن 'ميللي' تدرجت مسرعة نحوه وامسكت بكعبه فاختل توازنه وقبل ان يستعيده انطلقت هي مثل السهم . لكن 'كين' استطاع ان ينطلق مسرعا ويتخطاها . دفع الباب ودخل ثم اغلقه . افتح الباب يا 'كين' هولو...

- اهنتك ! اعلني على الملا أنني مقيم عندك !

قال ذلك رغم علمه ان صوت 'ميللي' لا يسمع عن بعد . عاونها على خلع سترتها وحذائها مرتفع الكعب . قالت ضاحكة :

- يا له من برد قارس ! اسرع . هيا لنجلس أمام المدفأة . لحسن الحظ أنني قد أعددت القهوة قبل مغادرتنا البيت . القهوة خطيئتي الوحيدة ...

لم يلق بالا إلى هذا التعليق وتبعها إلى حجرة الاستقبال . استسلم لرائحة الصنوبر المنبعثة من الأغصان المحترقة بالمدفأة لتشيع الدفء من حولها والامتزجة برائحة القهوة المنعشة . تحدثا عن مغامرتهما فوق الثلوج ثم انخفض صوتهما وقد استسلما للقلبات متعانقين .

قالت بنبرة أملة :

- يراودني إحساس بالثقة بأن القاتل سوف يكتشف قريبا .

- هكذا ينتهي اللغز في الأفلام السينمائية أما في الواقع ... 'ميللي' سوف نقيم مساء غد عشاء الاحتفال بالعيد معا وليس بمقدوري أن أقدم لك شيئا ...

- لا عليك ! ليس من واجبك أن تقدم لي شيئا .

رأى شفتيها منفرجتين قليلا وسمع أنفاسها رقيقة كالهمس فاستبدت به الرغبة . كانت شديدة الجاذبية مفعمة بالإحساس من تحت ذلك المظهر الهادئ . أرادها بعنف المحروم . ضمها إليه كي يقبلها وضمن قبلته اشواق رجل التقى لتوه بالمرأة الوحيدة في الوجود .

تجاوبت 'ميللي' معه بقدر أسعده وشجعه على المزيد . التزمت 'ميللي' الصمت طويلا قبل أن تقول :

- الندبة ...

- كفى حماقة !

كانت لمساته بمثابة لهب سرى دفؤه في عروقها :

- إنك فاتنة .

امتدت يدها إلى قميصه تفتحه وتسارعت أنفاس 'كين' للمس يدها . قالت :

- إنني مفتقرة تماما إلى الخبرة بهذا المجال .

تذكر حياها في أول لقاء لهما . قال لها :

- أحبك .

لم تتصور قط أنه يمكنها أن تبوح بهذه الكلمة لأي رجل في الوجود . ومع ذلك قالت بصدق :

- أحبك .

واحتوتهما سعادة غير مسبوقة ...

استيقظا في الصباح متعانقين في فراش 'ميللي' .

- عيد سعيد يا حبيبتي ...

فاجابها متكاسلا :

- العيد غدا . سوف نحتفل به الليلة .

- حقيقة ؟ ينبغي علي أن افكر في الهدايا ...

رقدت بالقرب منه مستريحة الجسد والبال تفكر في كليهما .

انقضت الليلة في سعادة تامة جعلت منها امرأة جديدة تماما . علمت منذ لحظة التقائها بـ 'كين' - عن هذا القدر من القرب - أنها امرأة مرغوبة جذابة ولن يبرحها هذا الإحساس أبدا . فقد أضاع حياتها وملأها بمشاعر الرضا . مما لا شك فيه أن 'كين' سوف يهجرها في المستقبل القريب لكن بعد أن ساعدها على اكتشاف نفسها . 'كين' حبيبها ...

استسلم للنوم مرة أخرى تظلل أهدابه الطويلة الكثيفة وجنتيه . ارتفع صدره العاري مع حركة تنفسه المنتظمة . كم بدا جذابا ! الغريب أنه هو الذي بدا أكثر تعطشا إلى الحب منها .

أخبرته 'ميللي' في وقت لاحق من الصباح بأنه ينبغي عليها التوجه إلى 'كولورادو' لشراء بعض المستلزمات . كانت قد أخرجت الأوزة من غرفة التجميد بالثلاجة وتركها خارجها حتى يذوب الثلج منها . وكانت تعتزم أن تقدم معها مجموعة من الأصناف الأخرى التي سوف تختارها لهذه المناسبة . كان عليها أيضا التوجه إلى المدينة حتى تقصد بعض المحال التي تختار منها هدية 'كين' .

على الرغم من أنها قد فكرت كثيرا في هذا الأمر لم تهتد إلى ما يمكنه إسعاده على نحو مؤكد . كيف يمكنها أن تعرف نوقه في الهدايا؟ لم تعرفه إلا منذ زمن قصير جدا ... أصبحت الآن تعرف

مسلكه في الحب الجسدي وتعلم أحاسيسه ورغباته أما ما يتعلق بباقي الأمور ... كانت الهديتان الأوليان اللتان اختارتهما له أكثر سهولة عليها من الثالثة التي بدت لها وكأنها مشكلة . دخلت معرضا للفنون تميز برفعة نوق معروضاته . انتقلت في نهاية المطاف تمثالا من البرنز يصور نسرا واقفا على غصن بإسقاط جناحيه ناهبا للانطلاق .

أعجبتها هذه الفكرة الجديدة ورات أن هذه الهدية ستكون متفردة في نوعيتها وأملت أن يحملها 'كين' معه أينما ذهب طوال حياته فيتذكرها كلما وقع بصره على ذلك الطائر المغترس . تحمست 'ميللي' لهذه الفكرة بحيث لم تابه بئمن هذا التمثال وغادرت المعرض تحمل طردا ثقيلا محتويا عليه .

وضعت مشترياتها بحقيبة السيارة وانطلقت قاصدة بيتها . تناولوا قهوتهما بالقرب من المدفأة بعد الغداء في انتظار الذهاب إلى الإرسالية . سالها 'كين' :

- كيف تحتفل أسرتك بليلة العيد عادة ؟

- نفص أغلفة الهدايا في الصباح ثم نتناول وجبة شهية تضم جميع أفراد الأسرة حيث يتسامر الكبار بعض الوقت وتعم الصغار بهجة تحول دون التفكير في الراحة أو النوم .

- كيف ينادونك ؟ العمة 'كاميلا' ؟

- لا . العمة 'ميللي' . أنت الوحيد الذي يناديني 'كاميلا' في بعض الأحيان .

- يضايقك ذلك ؟

فقالت بنبرة رقيقة :

لا . مادام يرضيك .

أخذ يدها وقبّل رسغها ثم كلا من أصابعها .

- هل أنت واثقة بأنك غير نادمة على أنك قد تغيبت عن اجتماع الأسرة في هذا العيد ؟

- لا بالتأكيد . لأنني بالقرب منك .

أصابته هذه الصراحة وهذا الصدق منه الفؤاد . تمنى لو أنه كان بوسعها أن يقدم لها هدية مدهشة تتقد لها نظرات عينيها الجميلتين وإذ يعاين سعادتها يشعر وكأنه قد تقاضى مائة مثل ثمن هديته . لم ير سوى جانب من وجهها لأنها كانت ملتفتة نحو المدفأة فتذكر تعبيرات وجهها مساء أمس وهي تتجاوب مع لمسات أصابعه :

- "كاميلا" .

سقط الثوب الذي كانت تقوم برتقه من بين أصابعها وأمالته نحوه وجنتها حتى يطبع قبلة عليها . وعندما أرادت أن تحدّثه بعد ذلك منعها بعناق كبحت له أنفاسها . استلقيا معا أمام المدفأة وتحابا على صوت فرقعة الأغصان المتقدة .

رات بعد ذلك أن تسأله عن كيفية احتفاله بالعيد فقال :

- منذ أن تركت منزل الأسرة لم احتفل بأعياد الميلاد مع أشقائي وشقيقاتي .

وعندما كبرت كنا نتبادل الهدايا في الصباح مثلكم ثم تصل الإوزة التقليدية كإضافة إلى الأصناف التي تزخر المائدة بها . ومع ذلك احتفظ بأحلى الذكريات لتلك الاجتماعات الأسرية ... بعدما انتزعني "وولتر" من والدي كنت أقضي ليالي عيد الميلاد مع بعض الأصدقاء المقربين ولم أجد عند أحد منهم تلك السعادة التي عرفتتها بين أفراد الأسرة .

أعجبه في "ميللي" ذلك الهدوء وتلك القناعة بما لديها وعدم الرغبة

فيما ليس في متناول يدها . بدت حياته الخاصة مختلفة تماما في نظره ... خاوية لا مذاق لها . فلم يكف أبدا عن المقاومة والمضاربة والثورة لاتفه الأسباب كما لو كان في مقدمة جيش محارب .

أحس بأنه - في وجود "ميللي" بجانبه - يكفيه أن يقفل الباب عليهما ويقذف بالمفتاح من النافذة ويعيش في أتم سعادة . كل ساعة قضائها بقربها أشعرته بالرضا التام . شيء ما استقر عليه إبان خوضه هذه التجربة : أنه لا غنى له عن "كاميلا" .

خيم عليهما صمت مثقل بالأفكار اللذيذة بينما استقر رأسها على كتفه وانسل شعرها يستر صدره . سألته :

- ماذا سنفعل صباح غد . سيكون يوم العيد ولن نذهب إلى الإرسالية قبل الساعة الحادية عشرة .

أما "كين" فكانت أفكاره قد حملته بعيدا جدا عن أية اعتبارات تتعلق بالحاضر :

- "ميللي" ، هل تتذكرين تلك الصورة التي نشرت لـ "تشييريل" بالصحيفة ؟

- نعم .

- حسنا . انسيها تماما ! لم يكن لها وضع كبير في حياتي أما الآن فلا احتفظ لها فيها بأي دور على الإطلاق . تعلمين من التي احتلت مكانها ؟ سوف أخبرك بها : لقد ...

أسرعت "ميللي" تضع يدها على فمه :

- لا تقل شيئا لأنك لا تعرف ما ستكون عليه مشاعرك عندما تعود إلى حياتك المعتادة . لا تقل لي : إنك تحبني فلا جدوى من ذلك . إنني سعيدة جدا بأنك قد دخلت حياتي خلال هذه الأيام ... ولا أريد شيئا أكثر من ذلك .

- كفي عن هذه الاقوال وكفك تعذيبا إياي .
 - لا أعذبك ... لأن العذاب الحقيقي هو أن تجد نفسك خلف القضبان.
 أخذ يمرر يده على شعرها الطويل المتموج فوق صدره :
 - لقد أخبرتك بما أردت لك أن تعرفيه عن موضوع "شيريل" . لقد ...
 - توقف !

فضحت نبرتها قدرا من الخوف كانت تحاول أن تداريه ؛ لهذا اضطر
 إلى أن يذعن لرغبتها . قال :
 - حسنا يا سيادة الرئيس .
 - سوف نتأخر يا "كين" ...
 هب قافزا على الرغم من مداعبات رفيقته .
 - سوف اغتسل واستبدل ثيابي بينما تستعد أنت للخروج .
 - "كاميللا" .. تعالي .
 - لا يا "كين" . لن يكون ذلك معقولا .

ومع ذلك قرأ في النظرة التي رمقته بها توقا يفوق رغبته . سعد لما
 رآه . تاهب للخروج قبلها وعندما سمع رنين الهاتف رفع السماعة على
 الفور كما لو كان في بيته . كان قد حمل الهاتف إلى المطبخ حتى لا
 يسبب إزعاجا لـ "ميللي" التي وقفت أمام المراة تصفف شعرها وتحدث
 نفسها متنهدة بأنها تحب "كين" وسوف تكن له هذا الحب ما بقيت على
 قيد الحياة . لكن ينبغي عليها منذ هذه اللحظة فصاعدا أن تروض
 نفسها على رؤيته يختفي من حياتها فجأة .
 كذلك اعتصر قلبها خوفا من أن يلحق بها في تلك اللحظة واشرق
 وجهها ...

الفصل الثامن

رفعها من فوق الأرض وأخذ يلف بها حول نفسه في أرجاء الحجرة
 وهو يغني فرحا . أنزلها إلى الأرض بعد ذلك وبدأ يخبرها بما حدث
 بسعادة المتها .

- اتصل "جيسي" بي الآن . بدا أن كل الأمور تسير في نظام . كان
 الاسم الذي أعطاني صديقك إياه ذا فائدة كبيرة .
 - اه ! "كين" !

- نعم . وإن لم يكن هناك ما يؤكد هذه الحقيقة الآن إلا أنه لا يشك
 في أن ذلك هو اسم القاتل . أراد أن يعرف هل أوافق على أن يجري
 اتصال هاتفي مجهول المصدر بالشرطة يجعلهم يتحركون على أثره ؟
 وبذلك يبحثون عن المجرم الحقيقي .

- إنني سعيدة جدا بهذه الأنباء !
 اشاحت "ميللي" بوجهها بعيدا عنه حتى لا يستطيع أن يقرأ فيه

شيئا لأن مشاعر اليأس والفرح قد تنازعتها . لكنها لم تنجح في إخفاء أفكارها عنه .

- 'ميللي' ! دموع ؟ من المستحيل أن تبكي لسماع الأخبار السارة أيضا ! يا له من إسراف !

قالت مازحة :

- لم أسمع قط عن الإسراف في ذرف الدموع .

عبثا حاولت كبج دموعها لأن الأسى كان قد استبد بها إلى حد لم تتوقعه .

قال 'كين' متعجبا :

- يا له من حظ سعيد ! أشعر وكأن حملا ثقيلا قد أزيح عن كاهلي .

هيا يا حبيبتي . سوف نصل متأخرين . ينبغي أن نرحل على الفور .

امسكت بسترتها الثقيلة كي ترتديها لكنه منعها من ذلك بأن ضمها إلى صدره قائلا :

- قبلة أخيرة .

- تقول : إننا سوف نتأخر ...

اضطرا أثناء الفترة التي قضياها بالإرسالية إلى الابتعاد كل عن الآخر لأن كلا منهما كان أمامه عمل معين ينجزه . لكن بين الحين والحين كان 'كين' يضع يدا فوق كتفها أو يربت ذراعها . كذلك تبادلوا عن بعد الابتسامات وبذلك لم يترك شيئا لم يفعله لإسعاد 'ميللي' .

حضر إلى الدار عدد كبير من غير ذوي المأوى في فترة ما بعد الظهيرة . فشغلت 'ميللي' بهم إلى حد أنها لم تر 'كين' . تساءلت فجأة :

ماذا حدث حيث لم تتمكن من رؤيته في أي مكان تحت بصرها ؟ أين من الممكن أن يكون قد ذهب ؟ من خلال نظرة من النافذة أيقنت أنه لم

يستقل السيارة لأنها رأتها واقفة تنتظر في مكانها المعتاد .

استبد بها القلق رغم محاولتها تهدئة نفسها في اللحظة التي عاد 'كين' فيها أخيرا حاملا حقيبة مملوءة بالملابس بعد طيها بعناية فائقة . رمقها بغمزة من عينه أجابتها بابتسامة ساحرة وهنا علمت مدى المعاناة التي سوف تعرفها في غيابه .

أقيمت عند منتصف الليل خدمة قداس العيد . جلست 'ميللي' بالقرب من 'كين' وسمحت أن يمسك بيدها على الرغم من أنه لا المكان ولا الزمان كانا مناسبين للعلاقات الغرامية .

كانت الأرصاد قد تنبأت بعاصفة ثلجية وفي الموعد المحدد من منتصف تلك الليلة بدأ الجليد يتساقط . قال 'كين' معلقا :

- أحب سقوط الجليد ليلة عيد الميلاد .

توجهوا معا إلى السيارة واتجه تفكير 'ميللي' على الفور إلى ليالي أعياد الميلاد التي قضاها في جميع أنحاء العالم . أين سيكون ليلة عيد الميلاد المقبلة ؟

ما من شك في أنه لن يكون بالولايات المتحدة . ربما يقضيها في أوروبا بصحبة 'شيريل' أو واحدة أخرى غيرها ! لكن ما جدوى تعذيب نفسها بمثل هذه الأفكار المفرزة ! من الأفضل جدا أن تستمتع بالسعادة التي تتيحها لها هذه الليلة .

اشتركا معا في إنشاد بعض ترانيل عيد الميلاد وعندما تخطيا عتبة البيت اتجه كل منهما إلى ذراعي الآخر في عناق حار كما لو كانا قد رآيا أن انقضاء بضع ساعات بلا قبلات متبادلة بينهما يعد حرمانا يفوق قدرتهما . جلسا بعد ذلك كل بجانب الآخر أمام المدفأة - طبقا لما كانا قد تعوداه - مستمتعين بالحرارة المترامية إليهما من حريق فروع كبيرة ونجحت 'ميللي' في أن تشعر بالسعادة .

بسبب إلحاح الإرسالية في طلب معاونتها في ذلك اليوم تنازلت عن

السفر للحاق بالأسرة . لكنها كانت تحب أن تحتفل مع والديها وأخواتها بالعام الجديد . فرشت هداياهم الموكيت من تحت شجرة عيد الميلاد وإن كانت أجمل هدية جاءت بها الأعياد هي "كين" الذي بفضل وجوده معها تقضي أياما ممتعة مذهلة . لا يمكنها أن تحلم قط بشيء أكثر من هذا .

مررت يدها فوق صدره فضمها إليه تلقائيا على الرغم من أنه كان شبه مستغرق في النوم . استيقظا في ذات اللحظة من صباح اليوم التالي بعد ليلة غرامية حافلة في فراش "ميللي" .
قال "كين" :

- عيدا سعيدا أيها الجمال النائم . مستعدة لفتح الهدايا ؟

- ممم ... ليس الآن .

استسلمت للراحة التامة واضعة رأسها فوق كتف حبيبها الذي أخذ يربت ظهرها بلمساته الحانية . وحين وقت النهوض .

قالت وهي تتبعه إلى حجرة الاستقبال :

- "كين" أشعر بالحر من أن أفتح هدايا عيد الميلاد بينما أنت بجانبني تراقبني .

- لا تقولي ذلك . في كل عام تقدم لي الأسرة أكواما من الهدايا وفي يوم قريب أنت من سوف تراقبينني وأنا أفتحها .

خففت بصرها وهي تشيح بوجهها بعيدا عنه لكنه قبض على ذراعها ممليا عليها النظر إلى وجهه :

- يخيل إلي أحيانا أنك تعتقدين أنك لن تريني قط بعد رحيلي من هنا .

قالت دون أن تجيبه على تصويره :

- اليوم عيد الميلاد . ومعني هدية لك . هيا !

ازعجها قدرته على قراءة أفكارها . لا يمكنها أن تخفي عنه شيئا .
قال :

- هيا بنا .

أسقط ذلك الموضوع بسهولة الآن لأنه كان يعلم في قرارة نفسه أن "ميللي" ستظل قريبة منه . فكلما زادت معرفته بها زاد إحساسه بالحاجة إليها . وعندما يستعيد حريته سوف يطلعها على مدى تمسكه بها .

عندما اقترب من الشجرة سيطرت عليه بهجة أشبه بتلك التي كان يحسها وهو طفل أيام أعياد الميلاد . يا له من عيد استثنائي ! وإن لم يستشعر أدنى قدر من السعادة الحقيقية منذ أعوام كثيرة مضت . لكن في هذا اليوم المجيد وقف يتحرق شوقا إلى لحظة أن يضع في يدي "ميللي" تلك الهدية التي اختارها من أجلها .

جثت أمام الهدايا وأخذت واحدة منها قدمتها إليه .

- عيدا سعيدا يا "كين" .

- والآن دوري لأقدم لك هديتي .

- لحظة ! أريد أن أراك تفتح هديتي .

حل الشريط وهو يبتسم ثم رفع الورقة الملونة وأخرج منها علبة صغيرة . فتحها ليجد بداخلها تمثالا صغيرا جدا لرجل الثلج منحوتا من حجر صلد وهو راقد فوق فراش من القطن الأزرق .

قال متعجبا وهو يضحك :

- رائع ! حبيبتي إنني معجب به إلى حد كبير وفي كل مرة يقع فيها بصري عليه سوف أتذكر ذلك الرجل الذي صنعناه معا .

- هذا ما كنت أتمناه عند اختياري لهذه الهدية .

- والآن حان دوري لتقديم هداياي . لدي لك هديتان لكن في ظل الظروف الراهنة أرجو أن تبدي رضاك عنهما .

لم يبد ذلك الطرد - الصغير المغلف بورق الصحف والمثبت بقطعة من خيط القنب - جذابا - ومع ذلك اشتد فرح "ميللي" بأن "كين" قد نجح في أن يأتيها بشيء أيا كانت قيمته .

قالت وهي تفض الغلاف الورقي :

- كيف أمكنك التجول لتقدم لي هذه الهدية ؟

قاطع حركتها بأن أخذ يدها ونظر في عمق عينيها قائلا بصوت هادئ جدا :

- لا تعقدي آمالا عظاما .

- أه . إنك تعرفني ...

- اضطرت إلى أن أختار لك شيئا من بين تلك الهدايا التي يعرضها حارس المحل .

- ذلك المحل الصغير شديد القرب من مبنى الإرسالية ؟ لهذا إذن كان اختفاؤك المفاجئ أمس . وأنا التي كاد قلقي عليك أن يقتلني !

نزعت الغلاف الورقي وتوقفت أمام حافظة مفاتيح أو غلاف بلاستيكي . لكن كان بداخل هذه العلبة المتواضعة جرس صغير مصنوع من النحاس له مثل بريق النجوم .

فرحت "ميللي" به واشرق وجهها بابتسامة عذبة وهي تلوح به في الهواء فيصدر عنه رنين عذب رقيق .

- أه يا "كين" . إنه جميل ! سوف أحتفظ به طوال حياتي وأتذكر به هذا اليوم السعيد بكل مشاعر الرقة والحنان . يا لها من سعادة تلك التي أدخلتها على قلبي !

اتجهت إلى صدره تشعر بسعادة حقيقية ففرح أن رأى فرحتها .

- لا أستطيع أن أصدق أنك قد اهتمت إليه بذلك المحل المتواضع ! لا يبيع هذه النوعية من السلع .

- هذا صحيح . لكن هذا الجرس كان معلقا فوق باب المحل وكان يجلجل كلما دخل أحد الزبائن المحل . وافق على أن يبيعني إياه وقضيت ساعات في صقله باستعمال مستحضرات جلاء النحاس التي عندك .

قالت والدموع تترقرق في عينيها :

- يا لك من ملاك !

قال وقد أثارت الدموع التي رآها في عينيها مشاعره :

- إنك سهلة الإرضاء .

احس بضيق إذ تذكر أنه كان يعتزم أن يقدم لـ "شيريل" سواراً من الذهب بمناسبة عيد الميلاد لكنه كان واثقا بأن مثل هذه الهدية ما كانت لتثير بداخلها مثل هذه السعادة المفرطة .

نسي أمر "شيريل" عندما قدمت "كاميلا" إليه علبة مستطيلة وهي تقول بحياء :

- وهذه أيضا هدية أخرى لك .

وجد بداخل تلك الورقة الخضراء المصقولة لثاما (وشاحا) فاخرا من الصوف الكشمير . قال بصدق :

- يعجبني إلى أقصى الحدود .

- يناسب لون معطفك .

- لكنك لم تريه سوى بضع دقائق عندما وجدت حافظة نقودي !

لأنني ذهبت إلى بيت "ولتر بوبلين" بعد ذلك مرتديا معطف المطر .

فقالت :

- لكنني أتذكر لونه .

حملها "كين" بين ذراعيه حتى الأريكة حيث جلس مريحا إياها فوق ركبتيه .

- أنت امرأة متفردة . وهداياي ليست على المستوى الجدير بك .
- إذا لم تكف عن إحراجي بهذه الشدة فلن يتاح لنا الوقت الكافي لفض باقي الطرود قبل أن نتوجه إلى الإرسالية .

- ما هذا الذي تقولينه ؟ ألا تفضلين قبلاتي على أي شاغل آخر ؟
اجابته ضاحكة :

- لا تبالغ في الثقة بنفسك . ومع ذلك لا بأس من أن اتذوق قبلاتك حتى يمكنني الإجابة على هذا السؤال .
- لا يسعني قط أن أرد طلب امرأة جميلة .

كانت هي من طلب مهلة بعد أن عطلها عن تقديم آخر هداياها إليه .
أمله أن تحوز إعجابه خاصة أنها لم تعرف إلا القليل فيما يتعلق بذوقه وبأفضلياته !

مزق الورقة بقوة وأخرج النسر البرنزي من أغلفته . وعندما ابتاعت "ميللي" هذا التمثال كانت واثقة بأنه سوف ينال إعجابه . أما الآن فكانت تشك في ذلك . انتظرت قلقة تعقيبه بينما أمسك هو الطائر المتأهب للانطلاق على امتداد ذراعه متاملا إياه .

- مدهش !

أحست بالارتياح عندما سمعت نبرته الدافئة وأيقنت من أنها لم تخطئ الاختيار .

- "كين" ما رايك في أن تعد الفطور بينما أقوم أنا بفض باقي الطرود ؟ أتوقع مكاملة هاتفية من والدي بين دقيقة وأخرى .

- أفضل مراقبتك . أسرع بفض أغلفة هداياك وسوف أتوجه بعد ذلك لإعداد الفطور على الفور .

رأى في قرارة نفسه نوعا من التسلية لفكرة أنه لم يحدث من قبل أن طلبت منه أية امرأة في الوجود إعداد وجبة فطور أو غداء .

استبد القلق به لأنه كان في انتظار لحظة انتهائها من الاطلاع على ما بداخل أغلفة هداياها حتى تتفرغ له عندما يقدم إليها هديته الثانية .

حصلت "ميللي" من شقيقتها "لو" على قميص نوم شفاف أنيق تجمله الدانتيل . صاح "كين" وهو يغمز بإحدى عينيه :

- أهلا ! ومتى يكون لي شرف إلباسك هذا الشيء المغربي ؟
- فيما بعد . فيما بعد . اتركني أنتهي من هذا العمل قبل مكاملة والدي .

ظلت على مدى بضع دقائق تعبت بالورق دون أن تكف عن الشرثرة مع "كين" . علمت أنه قد اقترض مبلغا من النقود من "بيل" أحد أعضاء الإرسالية حتى يشتري لها ذلك الجرس الصغير .

وجدت نفسها في نهاية المطاف جالسة بين كومة من الورق ذي الرسوم والألوان الزاهية وخيوط القنب المذهبة والشرائط .
- أه يا "كين" . كنت أفضل أن تفتح لغائف هداياك في ذات الوقت معي !

- لا أهمية لذلك الآن ...

وجاء رنين ناقوس الهاتف .

- والداي !

أسرعت "ميللي" إلى المطبخ حيث رفعت الهاتف . تبعها "كين" إلى هناك وبينما تبادلت التهنئة بالعيد مع أفراد الأسرة شرع هو في إعداد الوجبة . استمرت المكاملة مدة طويلة لأنها تحدثت في بدايتها مع والديها ثم مع شقيقاتها وأزواجهن ثم بناتهن وبنينهن ، وأخيرا

تحدثت الام مرة ثانية واعربت 'ميللي' عن أسفها لعدم وجودها معهم جميعا :

- لكنني على احسن حال يا امي اؤكد لك ذلك . كل ما في الامر انهم بالإرسالية قد الحوا في طلب مساعدتي ! لكنني ساكون معكم جميعا في شهر مارس ، لا تنسي ذلك وسوف ابقى مع ابي حتى إبريل . لا ... لست بمفردي في هذه الاعياد . معي صديق بعيد عن أسرته ايضا تناول معي عشاء ليلة العيد . كيف ؟ نعم . سوف اكتب لك واتصل بك هاتفيا في خلال بضعة ايام ... نعم . مجرد صديق يعمل معي بالإرسالية . اقبلك واقبل الجميع ايضا .

جلست اخيرا امام قدح من القهوة وبيض باللحم وخبز باللبن .
- لقد اصبحت طاهيا ممتازا يا 'كين' ! اهنئك على قدراتك .
- تخصصي الآخر في اعمال الطهي هو تقشير البطاطس . اتدرب على هذه الاعمال في الإرسالية والان اتبعيني .

سبقها إلى حجرة الاستقبال وطلب منها ان تتوقف امام الشجرة .
- لقد نسيت إحدى الهدايا .
- انا ؟ لا .
فتشت الأرض التي تناثرت فوقها الاوراق الملونة والشرائط والعلب الفارغة .

- لا تنظري إلى اسفل بل إلى اعلى .
رأت قرب قمة الشجرة طردا صغيرا معلقا يتأرجح في الهواء . بدا - بالنظر إلى صغر ابعاده - وكأنه طابع بريد او قطعة نقود .
قال 'كين' محذرا :

- 'كاميللا' أريد ان تعلمي ان هذا مجرد بديل وانتي ...
وقاطعها رنين الهاتف مرة اخرى . فقال مزمجرا :

- اللعنة !

- ساجيبه لابد انها إحدى الصديقات .

لكن 'جيسي' من كان على الطرف الآخر . وبينما أخذ 'كين' السماعه بدأت 'ميللي' تحل الشريط لكنه منعها من مواصلة ذلك بان وضع يده الأخرى فوق يدها . فهمت انه يريد ان تنتظر حتى نهاية المكالمه .
اغمضت عينيه فجأة !

- نعم ؟ أه . حمدا لله !

كانت نبرته مفعمة بالمشاعر . وضع يده على السماعه وقال مخاطبا 'ميللي' :

- قبضت الشرطة على القاتل وهو محترف إجرام قاموا باستئجاره . اعترف بكل شيء هذا الصباح و... اتضح ان المذنب هو 'مورلاند' بالفعل . وان الجريمة قد ارتكبت بهدف الاستيلاء على التركة . يا للهول !

ثم استأنف مكالمته الهاتفية :

- نعم . لا بأس . سوف اتصل هاتفيا بالسيد مامور الشرطة 'ليونارد' بالتأكيد وأرجو ان تخبره انت بذلك من جانبك . حسنا جدا ... حسنا جدا ... لم ا تلق أنباء أفضل من ذلك طوال حياتي ! سوف أعاود الاتصال بك في حوالي التاسعة . مفهوم ؟ شكرا لك يا 'جيسي' بل ألف شكر .

أنهى المكالمه وقد اشرق وجهه سعادة . أخبرها بما تم الاتفاق عليه وبما علمه من خلال المكالمه .

- اعترف القاتل بكل شيء وبذلك لا يصبح عندي ما اقلق بشأنه او اهتم . وقد اتصل 'جيسي' بوكيل النائب العام واتفق معه على إعداد التقرير اللازم وموافاة 'ليونارد' به . عادت جميع الأمور إلى نصابها

كما لو تم ذلك بفعل عصا سحرية . أصبحت الآن رجلا طليقا يا
كاميلا أنا رجل طليق !

ضمها بين ذراعيه بشدة واتقدت عيناه ابتهاجا وهو يضيف :
- أصبحت أرى الحياة من زاوية مختلفة تماما بعد هذه التجربة
القاسية . هذه الايام المكدودة كانت كافية لأن تحولني إلى رجل آخر .
لكن حيث إنه ليس ثمة ما يقف في طريق إثبات براعتي أرى أن نتحدث
في أمر أكثر أهمية . افتحى الهدية يا حبيبتي .
قالت متسائلة بدهشة :

- أمر أكثر أهمية ؟ إنني أتساءل ... :

سقط الشريط ورفع غطاء العلبة الصغيرة المصنوعة من الكرتون
فراحت خاتما صغيرا رخيص الثمن عبارة عن خاتم من النحاس ذي
فص أزرق . خفق قلب "كين" بشدة في انتظار تعليق منها . لكنه
استنتج بعد ذلك أن "ميللي" لم تفهم المغزى الذي ضمنه هذا الخاتم
الذي ابتاعه من ذلك المحل بالأمس .

قال هامسا :

- من الواضح أنه ليس إلا شيئا رمزيا مؤقتا .

أخذت "ميللي" تقلب الخاتم محاولة أن تبدي طريا بهذه الهدية
المتواضعة . أخذه "كين" من يدها والبسها إياه ببصر يدها اليسرى
وهو يقول لها :

- هل تقبلين الزواج بي ؟

الفصل التاسع

ذهلت "ميللي" لسماع ما قاله . اتسعت عيناهما حتى أقصاهما دون
أن تستطيع النطق بكلمة واحدة . أسرع "كين" لنجدتها :

- حبيبتي احبك وأريد أن تصبحي زوجة لي . هل تقبلين الزواج

بي ؟

- لا أدري ...

اختلفت الأفكار في ذهنها واضطربت إلى حد لا يصدق . كانت تريد
أن تجيبه تلقائيا بالإسراع إلى ذراعيه وإغماض عينيها وتكرار كلمة
"نعم . نعم . نعم" ألف مرة . لكن المفاجأة قد عقدت لسانها وأرخت
أوصالها .

لم تتصور "ميللي" قط حتى في أحلى أحلامها أن يطرح "كين" عليها
هذا السؤال . لهذا نظرت إليه دهشة تتساءل : ألم تخطئ سماع ما

قال ؟

- كين إنك متعجل جدا . كيف يمكنك أن تعرض عليّ الزواج بينما
انت لم تعرفني إلا منذ زمن قصير جدا ؟
- أعرف ذلك جيدا ...

كانت من التعقل والأتزان بحيث رفضت دخول هذه المغامرة بدون
تفكير كاف . أن تشارك كين حياته إنما هو بمثابة قلب لكيانها
ولعالمها البسيط المنظم بدقة متناهية . انتابها الخوف فهي أمام
مجازفة مقدر لها الفشل الذريع ! سوف تنتهي بالمعاناة لكليهما . بدت
لها هذه الفكرة فوق طاقة احتمالها .

- كين . لا يمكننا أن ننزول ولم نتح لنا فرصة معرفة كل منا بالآخر
كما ينبغي .

جاء ردها هذا مثل وابل ماء مثلج سقط عليه . لم يسبق لامرأة في
الوجود أن رفضت له طلبا .
- لكنني أحبك يا ميللي .

- إنني واثقة بذلك يا حبيبي لكن انتظر حتى تستأنف حياتك
المعتادة وتتغير مشاعرك . تعلم جيدا أنني لا أنتمي إلى عالمك . أنت
فرد في صفوة تتميز بالثراء والنفوذ أما أنا فلا يمكنني سوى القيام
ببعض الأعمال البسيطة المتواضعة للإرسالية .

- وما أهمية كل ذلك ؟! منذ اللحظة التي أحب فيها كل منا الآخر
بدأنا نتواءم ونتوافق . فكري في الأمر يا ميللي . ولا تنسي كم اعتدت
تقشير البطاطس ! لن تشعرني بأية صعوبة في اقتحام ذلك الذي
تطلقين عليه عالمي .

- اسمعني يا كين ...

- لا . لا أريد أن أسمع شيئا آخر . أعلم أنني لم أقم بصياغة عرضي
على النحو اللائق . لست ماهرا في ذلك !

ضمها في ذراعيه معانقا ومقبلا بحرارة وهو يكرر :

- أحبك وأريد الزواج بك . قولي نعم وسوف أعيدك إلى الأرض .

تجاوبت مع قبلاته إلى حد نسيت معه أمر الخاتم فقد اشتدت بها
الرغبة حتى أوشكت على الارتجاف . وأخيرا عندما سمع تنهدها
أنزلها إلى الأرض دون أن يطلق سراحها .

- أعطيني فرصة على الأقل . لا ترفضني دون أن تعرفني ماهية ما
ترفضينه .

- امر طبيعي .

- هذا يعني نعم .

- كين لا يمكنني - بأي حال من الأحوال - أن أعطيك إجابة صادقة
وانت تعتصرني على صدرك .

لكنها لم تكن لتسعى إلى الخلاص منه فقد تشبثت يداها بالكتفين
العضليتين لتحسسان مرونة جلده . وصلابته ودفعه .

اجابها بنبرة صارمة :

- لن ادعك تباعدين أبدا . لا تلبسي هذا الخاتم الحقيق إذا كانت هذه
هي رغبتك . لكنني لن أخرج من حياتك أبدا مادمت لا تطرديني منها .

أحست ميللي بموجة أسى تحتويها . فهي تريد كين بكل المقاييس
لكنها ترهب اللحظة التي يتخلّى عنها فيها ويهجرها . قالت بنبرة
خوف :

- ما رأيك في نصف خطبة ؟

أشرقت الابتسامة على وجه كين المتوتر :

- حسنا جدا . موافق . سوف أكتفي بفترة التجربة التي تقترحينها

في انتظار ما هو أفضل .

بدأ ارتياحه واضحا عليه لكن ميللي لم ترغب في أن تعطيه املا

كبيراً بلا مبرر . لأن هذه الفترة المقترحة ستكون قصيرة على ضوء ما اتصف "كين" به من نغاد الصبر . ومع ذلك أسعده هذا الاقتراح الذي تقدمت به .

- تعلم .. فحصت صور "شيريل" بدقة . تلك الصور التي ظهرت بالمجلات .

جمالها ساحق . رشاقتها لا نظير لها . الجميع يرون أنكما تكونان معا زوجين انتقى كل منكما الآخر ببالغ العناية . أما أنا فلا أمثل إلا أمراً عارضاً في حياتك . لازلت تعاني تحت وطأة تلك الجريمة البشعة وظروف فرارك وتخفيك والاسى الذي تعرضت له على مدى بضعة أيام... أما أنا "ميللي" إخصائية التغذية المدرسية وعضو الإرسالية فلا ثقل لي على الإطلاق .

- هل سألت نفسك : عما إذا كنت أضيق بـ "شيريل" إلى حد الاختناق أحياناً ؟

- لو كنت تضيق بها ما كنت قررت قضاء أعياد الميلاد معها بسويسرا .

- ما من شك في أنك تتخيلين عشاء لاثنتين في أحد الأكواخ المنعزلة . لكن الحقيقة هي أننا كنا نعتزم اللحاق بمجموعة من الأصدقاء . أرجوك كفي عن تعذيب نفسك بالحديث عن "شيريل" . أؤكد لك أنها لا تستحق كل ذلك . "ميللي" حاولي أن تثقي بي .

احست "ميللي" بقلبها يخفق فرحاً . نظرت إلى الخاتم الذي احتفظت به في إصبعها وبعث الأمل بداخلها .

قال وهو يضمها إليه :

- من المؤكد أننا قد تأخرنا قليلاً عن موعد الإرسالية . لكن ما الذي من شأنه أن يحدث لو أننا اختلفنا لنا عشر دقائق أو ربع ساعة ؟

وضعت رأسها فوق كتفه متنهدة بارتياح :

- لا بأس من أن نتأخر نصف ساعة . لم أجعل أحداً ينتظرني من قبل أياً كان ذلك الشخص . وبذلك يكون لي الحق في التأخير مرة بطريق المصادفة . خاصة أنني ساقضي هذه الدقائق معك .

حتى يعوض "كين" الوقت الضائع قاد السيارة بسرعة مذهلة في الطريق إلى "كولورادو" . قالت "ميللي" وهي تراقب الطريق الذي تحفه أشجار الصنوبر الباسقة على الجانبين :

- سوف يتم القبض عليك بسبب السرعة الزائدة حتى قبل أن تتمكن من مقابلة مأمور القسم .

كان "كين" مرتدياً ذات الثياب التي ارتداها ليلة الجريمة المشؤومة فاحس بالأناقة والفخامة على الرغم من تجعد ثيابه قليلاً . جلست عن قرب شديد منه ووضعت يدها فوق ركبته فقال :

- إذا لم ترفعي يدك على الفور فسوف أتوجه إلى المنزل مباشرة .

ضحكت "ميللي" مبتعدة عنه قليلاً . سطعت الشمس من خلف أشجار الصنوبر وترامت بعض أشعتها براقاً فوق الجليد . يا له من يوم بديع ! وكم هي سعادتها بالركوب بجوار رجل تحبه من كل روحها وبكل جسدها !

توقفت السيارة في شارع جانبي هادئ . وهنا قال "كين" :

- مركز الشرطة على قيد عشر دقائق من هنا بالسير على الأقدام . سوف أتركك هنا حتى لا يعلم أحد أنك قد أويتني . سوف تتناول الصحف هذا الموضوع على الفور بمجرد إعلان خطبتنا .

فقالت مرعدة :

- خطبتنا !

كيف يمكنها أن تضفي الواقعية على هذه الكلمة ! لم تر الخطيبة

المزيفة أية رباط رسمي يربطها برجل مثل "كين هولويني". سوف
يسلم نفسه إلى الشرطة ولن تراه بعد الآن. كانت واثقة بذلك.

أخذت وجه محبوبها بين يديها وهمست بصوت مفعم بالمشاعر:

- "كين" احبك وسأحبك مدى الحياة. إنك أول رجل في حياتي وآخر
رجل فيها.

- أعلم ذلك بكل تأكيد.

- يا إلهي!

غادر السيارة وهو يضحك غير أخذ قولها هذا ماخذ الجدية. أقبل
إليها ليفتح لها الباب المجاور.

- احبك يا "كاميللا". سوف اتصل بك بمجرد الانتهاء من
الإجراءات.

فقال كابتحة دموعها:

- حسنا جدا.

نزلت من السيارة وضمها "كين" في ذراعيه. قالت محدثة نفسها:
بجوع بين "إنها المرة الأخيرة" أسلمته شفتيها وهبت ريح قوية عبثت
بخصلة طويلة من شعرها. تشبثت بكفتي "كين" كابتحة أنفاسها حتى
يمكنها التركيز على تلك اللحظة والاحتفاظ بذكرى دائمة لها.

- "ميللي"؟ ما الذي أصابك؟ من يراك يعتقد أنك تظنين أنك لن
تريني ثانية! تعلمين جيدا أننا سوف نكون معا هذا المساء أو ربما
غدا وبعد غد وإلى الأبد!

ابتعدت عنه أسفة وهي تتنهد قائلة:

- لا أعرف شكل البيت الذي تقطنه وما هواياتك وعاداتك...

- سوف تعرفين كل شيء قريبا جدا. سوف يكون لنا بيت يجمعنا
معا. لا أقول بيتي ولا بيتك لكن بيتنا. والآن من الأفضل أن أمضي قبل

أن يأتي شرطي سيئ النية قد يتعرف على شخصي وأنا واقف معك.
حبيبتي لا تنسي أن تخبري "جويل" بأنني ساكون بحاجة إلى لقائه.
فأنا مدين له، فشكري له ولزملائه الذين أجرى معهم اتصالاته.

- وداعا يا "كين". اعتن بنفسك جيدا!

- لا تقولي وداعا يا "ميللي" بل إلى لقاء قريب. إنني كبير بما يكفي
لأن أعلم ذلك الذي أريده.

قال وهو يبتعد:

- إلى اللقاء هذا المساء أو في الغد على الأكثر.

رفع ياقة معطف المطر حتى يحمي نفسه من الريح الباردة ووضع
يديه في جيبه. سار في أول منعطف بالطريق.

تولت "ميللي" قيادة السيارة وتوجهت إلى مبنى الإرسالية.
استغرقها العمل تماما إلى حد نسيت معه كل شيء حتى "كين". لكن
وخزا في القلب كان يذكرها به بين الحين والحين فتتصاعد الدموع إلى
عينها.

دق ناقوس الهاتف في ساعة متأخرة من تلك الليلة ببيتها وجاءها
صوت "كين" العذب المألوف:

- والآن يا جميلتي؟

- "كين"، أخبرني بكل شيء! أريد أن أعرف كل ما حدث.

- جرت الأحداث بسرعة منذ لحظة افتراقنا. جناحي بالفندق
مزبحم بالجمهور وصادفتني أشق المصاعب حتى وصلت إلى حجرتي
حتى أتحدث معك بهدوء. متى تعودين إلى الإرسالية؟

- رأيت أنني بحاجة إلى قدر من الراحة.

- هائل. احجز لي يومك غدا ونخرج معا مساء السبت. هل هذا

مناسب؟

- نعم . يمكنني الترتيب لذلك .

- عظيم . سوف أراك ...

قطع حديثه فجأة ليجيب أحدهم وكان يلح عليه منذ لحظة . عاد يحدثها وقد انخفض صوته بمقدار درجة - مما أزعج 'ميللي' - وهو يقول :

- بدلا من غد - حيث لن يمكنني التحرر ممن حولي - اقترح أن يكون لقائنا يوم السبت . يا حبيبتي أرى موعد لقائنا بعيدا !
- وأنا كذلك يا 'كين' . لا عليك من غد وانتظر مساء السبت . إنني غاية في التأثر من النوم بمفردي بعد تلك الليالي التي قضيتها بين ذراعيك .

سمعت زمجرة ردا على كلامها ثم سمعت 'كين' يتبادل بضع كلمات مع شخص ما .

- 'كاميلا' ينبغي أن أتركك . مندوبو الصحف في انتظاري وقد رتبوا للقاء لي مع النائب العام وشخصيات أخرى .

- في هذه الساعة المتأخرة ؟

- لقد ظلت بقسم الشرطة حتى التاسعة مساء . ثم توجهت إلى الفندق الذي أقيم به حيث وجدت أعداداً غفيرة في انتظار عودتي، لم يمكنني تحين دقيقة واحدة اتصل بك فيها . أراك يوم السبت وعندما تقولين لي 'نعم' . التي انتظرها تنتهي فترة خطبتنا بالزواج .

تراجعت 'ميللي' على الفور أمام هذا التعجل .

- 'كين' انتظر حتى تتأكد من نفسك .

- إنني متأكد جدا من نفسي .

- تتعجل الأمور ، حياتك الجديدة سوف تشغلك تماما و ...

- أعلم . أعلم ... لكنك تخطئين التقدير ! 'ميللي' اتحرق شوقا إلى أن

أقبلك على الرغم من تلك الحماقات التي تتذرعين بها . لكن ينبغي أن أنتظر حتى يوم السبت . سامر لاصطحابك في تمام التاسعة ومنذ يوم غد إذا جرت الأمور وفقا لتوقعاتي فسوف ينشر اسمك بالخط العريض بالصحف بصفتك البطلة التي غامرت بإيواء مجرم مشتبه فيه تبحث الشرطة عنه .

- لا أهمية عندي لكل ذلك لأنه لن يتم القبض علي .

- لا تخشي شيئا . السيد 'ليونارد' مأمور القسم رجل متفهم الظروف تماما ... حبيبتي ينبغي علي أن أنهى المكالمات . إلى لقاء السبت !

في تمام التاسعة من مساء السبت فتحت الباب لـ 'كين' الذي كان مشرقا بالغ الأناقة يشع بجمال حقيقي . طارت 'ميللي' إلى ذراعيه .

بعد انقضاء ساعة كاملة كانا مستلقيين بتكاسل فوق الفراش تاركين الوقت يمضي ، تجمعهما سعادة شاملة . أخبرها 'كين' بعد ذلك بأنه على موعد وأنه يأمل أن تصحبه فيه . ابتسمت مطالبة بمزيد من الوقت معه بالبيت . وافق على طلبها بصعوبة .

سألته :

- أين حصلت على هذا اللون البرنزي ؟

- على شاطئ البحر . وأنت أيضا ستكتسبين هذا اللون أثناء عطلة شهر عسلنا . مارايك في شاطئ خاص تحت أشعة شمس محرقة ورمال صفراء وبحر دائم الزرقة ؟

نهضت دون أن تجيبه علما منها بأن اعتراضاتها إزاء الزواج المتسرع لن تقابل منه إلا بالضيق .

- 'كاميلا' أريد منك أن تتعودي فكرة رحلة شهر العسل .

وإذا لم يحصل منها على إجابة أكثر من ابتسامة متحفظة نهض

وارتدى ثيابه مسرعا ثم جلس بالحجرة في انتظار 'ميللي'. قررت بعد الاغتسال أن ترتدي قطعة ملابس داخلية من الحرير كانت بين الهدايا التي تلقتها من صديقاتها بمناسبة اعياد الميلاد. عادت إلى الحجرة في ذلك القميص لتأخذ ثوبا من خزانة ملابسها. طافت نظرة 'كين' بها مستحسنة ساقها الجميلتين وذلك القميص الذي التصق بجسدها.

- تبديدين رغبتني في مغادرة المنزل يا 'ميللي'. على الرغم من أنه ينبغي علي أن أصحبك على الفور إلى بعض المحال الراقية. أشعر بأنني أفضل البقاء هنا معك.

نهض متوجها إلى حجرة الاستقبال ليحضر منها طردا كبيرا كان قد تركه هناك منذ ساعة.

- أما حاليا فاسمح لي أن أتمنى لك عيدا سعيدا بما يتفق وإمكاناتي الجديدة.

- أه 'كين'. إنني معجبة جدا بالجرس الصغير وبالخاتم. لست بحاجة إلى أن تقدم لي شيئا آخر.

حلت الشريط المذهب بعناية ثم نزعَت الغلاف الورقي وعظم ابتهاجها. وعندما نزعَت غطاء العلبة المستطيلة أطلقت صيحة دهشة:

- لقد فقدت صوابك! لا يمكنني أن أقبل كل هذا!

وإذ ظلت على حالة ذهولها أمسك بمعطف الأحلام وأبعده عنه بما سمح به طول ذراعيه قائلا:

- أرجو قبل كل شيء ألا تبكي على تلك الحيوانات الصغيرة البائسة التي قتلت للحصول على فرائها الجميلة. يمكنك اعتبار هذه المرة

استثناء. قيسيه يا 'ميللي'.

ارتدت المعطف دون مزيد من الاعتراض وكان ذا بطاقة حريرية جميلة. مررت يديها فوق الغراء اللامعة البراقة الناعمة دون أن تنطق بشيء.

- حسنا؟ ألا يعجبك؟

- 'كين'! لا أعرف كيف أشكرك.

فقال مستطردا بهدوء:

- وهذا ما يتناسب مع المعطف.

وأخرج من جيبه علبة صغيرة فتحتها أمام عيني 'ميللي' الدهشتين. أخرج حجرا من الماس تنبعث منه آلاف الأشعة فوق خاتم من البلاتين. - أعطيني يدك.

خلع من إصبعها الخاتم زهيد الثمن والبسها قطعة المجوهرات النادرة ثم قبل أصابعها. نسيت 'ميللي' همومها وأسامها ومخاوفها. قال:

- سنذهب غدا معا إلى أفضل محال 'كولورادو' حيث أقدم لك ثوب سهرة ترتدينه في الحفل الساهر القادم الذي ترافقيني إليه. لا. لا. لا. أقبل أي اعتراض!

- سمعا وطاعة يا سيدي.

- عظيم. عندي لك بعض المشروعات الأخرى التي لا تحتل أي اعتراض.

لم تجرؤ 'ميللي' أمام هذا التحذير المسبق على أن تفتح فاهها لتعترض على المزيد من هذه الأفعال الحمقاء. توجهت إلى 'كولورادو'.

بعد ذلك بفترة قصيرة .

- أخبرني ... هل اعترف الآن مورلاند ؟

- نعم . ولقد دفع مبلغا كبيرا إلى قاتل محترف يدعى 'داتسن شاني' لينجز هذه المهمة . ارتبك هذا الأخير بسرعة لأنه كان قد ترك لدى 'وولتر بويلين' بعض المسروقات بما فيها حافظة نقودي . ذكر في التحقيق الذي أجري معه أن رجلا يدعى 'مور' هو الذي اتفق معه على تنفيذ جريمة القتل لكن بعد الضغط عليه بمزيد من الاستجابات باح باسم 'مورلاند' ولم يستطع هذا الأخير الإنكار أمام الاعترافات التفصيلية التي أدلى شريكه في الجريمة بها .

ظهر من التحقيق أن 'وولتر' قد عانى - منذ فترة - مرضا لا أمل في شفائه . وأن نياته فيما يتعلق بالميراث قد تحولت مرة أخرى لتكون في صالحه .

وضعت 'ميللي' يدا فوق ذراعه أملة في أن يكون العداء الذي كان يكنه لوالده قد اختفى تماما . قال مستطردا :

- أرى أن 'وولتر' قد فكر قرب نهاية حياته في التقرب إليّ حتى أوليه عناية أفضل من تلك التي وجدها من 'مورلاند' أو أي من الآخرين . لأنه كان والدي قبل أي اعتبار آخر وأنه قد رأى في توريثي مصانعه وإشرافي على أعماله - التي كان يتولاها بنفسه - تعويضا عن محاربته إياي طوال حياته . وفي تقديري أنه أراد أن يبدو صادقا مع 'مورلاند' لذلك شعر أنه من واجبه أن يكشف له عن رغبته في تعديل الوصية . وبذلك استشعر 'مورلاند' الخطر القادم . رفض طموحه وشراسته للمال وتجرده من جميع المبادئ الإنسانية - أن يدع فرصة

امتلاك تلك الإمبراطورية - التي كانت وشيكة أن تؤول إليه - تفلت من يده . لم يستطع مجرد أن يتصور أن تذهب كل هذه الثروة إلى سواه بعد أن كان قد عقد الآمال عليها وعلى مدى سنوات طويلة .

وصلت السيارة إلى قلب المدينة ولم يزل 'كين' يواصل روايته :

- في تقديري أن 'الآن' رأى أن 'وولتر' مدين له بالكثير بسبب أنه كان يعتبر الرجل التالي له في إدارة شتى أموره وأعماله ؛ لذلك قرر التخلص من الرجل العجوز . لكنه كان قبل ذلك قد حاول حمله على العدول عن تعديل الوصية ولم يفلح في مسعاه . هذا على الأقل ما اعترف به في محاضر الشرطة . وبناء على ذلك جن جنونه فسعى إلى استئجار ذلك القاتل .

- يا لها من أحداث مفاجئة ! حمدا لله أنه لم يصبح مشتبهها في اقتراك هذه الجريمة بعد .

- الفضل في ذلك راجع إليك يا حبيبتي .

انعطف في أكثر شوارع 'كولورادو' أناقة وفخامة .

- ما سوف ندخله الآن هو أفخم محال 'كولورادو' على الإطلاق وأرجو أن تشتري منه كل ما يلزمك . أما أنا فسوف أكون مرشدك عند شراء الملابس الداخلية والحرائر وعلى رأسها قميص نوم مصنوع من الدانتيل الأسود .

- ماذا ؟

ضحك ففهمت أنه لم يقصد سوى مداعبتها .

توجهها في مساء ذلك اليوم معا لحضور حفل ساهر ارتدت 'ميللي' فيه الثوب الذي أهداها 'كين' إياه وأعجبت بنفسها عندما رأت

صورتها في المرأة . كانا قد قضينا وقتا طويلا سابقا في ارتياد المحال
ثم توجهنا إلى الإرسالية حيث قام "كين" بتوزيع الظروف على جميع من
ساعدوه على إثبات براءته والنجاة من التهمة التي كانت قد الصقت
به .

تغيرت "ميللي" في غضون تلك الساعات وتغير "كين" . تبدد التوتر
الذي كان يحكم تصرفاته على مدى الأيام الأخيرة فبدأ أكثر حضورا
وأكثر مرحا وأكثر رشاقة أيضا . لكن "ميللي" أحست بأنه أقل قربا
منها لأن أعماله قد شغلته حتى ما بعد ساعات العمل المقررة . أخبرها
بأن تغيبه عنها في تلك الأيام الأخيرة كان مرجعه ضرورة إنجاز ما كان
قد أهمل خلال تلك الأيام المأسوية ، وأن هذه المشاغل الزائدة مؤقته
ولن تدوم طويلا .

نظرة أخرى إلى المرأة كشفت لها عن أناقتها البالغة وعن اثر ذلك
الأسلوب الجديد - في تصفيف شعرها بجمعه أعلى الرأس - على
مظهرها العام وإبراز فتنة وجهها .

هكذا بدت "ميللي" في نظر جميع الحاضرات بذلك الحفل ومع ذلك لم
تشعر هي بالارتياح التام : إذ رأت أن هذا الهندام الذي انتقاءه "كين" لها
بعناية لا يناسب امرأة بسيطة مثلها . ومع ذلك طلب منها ألا تستخدم
من قبيل زينة الوجه سوى لمسة من أحمر الخدود ومن البودرة على
الوجه معلقا بأن أهدابها لا حاجة بها إلى أية إضافة جمالية أو
تاكيد .

كان يمكنها أن تتباهى بهذا المظهر الرائع لكن بدا لها أنها استطاعت
أن تلتفت انتباه أي رجل نحوها . وإذا ما اشتركت في حديث ما

فسرعان ما تتوقف عن مواصلته . تداخلت بذهنها جميع هذه الأسماء
سواء كانت تشير إلى أشخاص أو إلى ملاذات شتوية لاتعرف
مواقعها .

امتنعت عن أن تدلي بأي تعليق . والأكثر من كل ذلك أن "كين" كان
أصغر سنا بقدر كبير من غالبية المدعوين . وإذا كان "كين" قد استطاع -
على ضوء كثرة أسفاره وتعرفه على العديد من الشخصيات - أن
يتحدث على قدم المساواة مع أي إنسان فلم يسع ميللي إلا أن تلزم
الصمت .

تصورت - وهي تراقبه يتحدث مع نوعيات مختلفة من الناس
ويستأثر بانتباه مستمعيه - المستقبل الباهر الذي ينتظره . كان
بوسعه الحصول على أي شيء وعلى أي مركز في المجال السياسي
وفي المجال التجاري على حد سواء وبذلك يكون بحاجة إلى زوجة
تسانده .. زوجة جميلة متفتحة ذكية ذات خبرة مناسبة في جميع
المجالات .

كانت "ميللي" وحيدة في ركنها الهادئ تأمل لو أنه يمكنها مغادرة
الحفل بهدوء حتى تعود إلى بيتها الذي تحيط به أشجار الصنوبر .
توقف أمامها رجل أنيق انحنى بآداب قائلا :

- أه! امرأة فاتنة تنتظر فارسها ! اسمي "ولسي بوردن" أحد أصدقاء
"كين" ، وعلى وجه التحديد عدو له في مجال العمل وصديق في ملعب
التنس . مما لا شك فيه أنه يتقن هذا كما يتقن ذاك .

- وأنا "كاميلا بليك" ...

- أعلم خطيبته الحلوة .

أخذ يدها مبديا إعجابه بالخاتم الذي زين بنصرها قائلا:

- هذا الرجل محظوظ بشكل غير عادي . أنت إذن من أخفيته خلال تلك الأيام؟

بدا عليه فضول غير محدود . وإذا كان يحدثها بصوت مرتفع استأذنت امرأة شابة سمراء من مجموعة كانت تتبادل أطراف الحديث على مقربة منهما وانضمت إليهما قائلة:

- أخبرينا ... أنا "جنجر أولد فيلد" وأعلم أنك "كاميللا بليك" . كنت أتمنى لو أن "كين" قد حضر يطرق بابي في تلك الليلة المشهودة ! كنت سأفتح له على الفور دون لحظة تردد.

وقالت قادمة أخرى :

- هذا واضح . وأنا أيضا ...

ثم سألت امرأة ثالثة تميزت برشاقة مذهلة :

- ماذا فعلت ؟

فاجابت "ميللي" :

- ينبغي عليك أن تسالي "كين" عن ذلك . أما بالنسبة إلي فقد انقضت تلك الأيام وكأنها مثقلة بالضباب .

وهنا تدخل صديق "كين" قائلا :

- يا عزيزاتي لن نخبركن بشيء وبذلك يمكننا بناء قصور في الهواء على الرغم منكن.

التقت "ميللي" عبر القاعة الفسيحة بنظرات خطيبها الذي كان يصغي إلى حديث "جون ماركس" النائب العام عن اقتصاديات ولاية كولورادو.

ابتسم لها بينما حدث نفسه في صمت قائلا : يالها من فاتنة رائعة الجمال شديدة الجاذبية ! لم يظن قط أنه يمكنها الانسجام مع باقي الحاضرين كما كانت تتمنى في قرارة نفسها ، لكنها على النقيض من ذلك تفوقت على سائر الحاضرات الأخريات بشبابها ونضارتها وفتنتها.

خفق قلبه بشدة وهو يتابع قوامها النحيل . "كاميللا" تلك الفتاة المذهلة قد نجحت في تغيير الرجل القاسي الذي كان في عمق نفسه . وأصبح الآن ينظر إلى أمور الحياة على نحو يقترب من مبادئ "ميللي" . لم تصبح لهذه الأمور ذات القيمة التي كانت لها في نظره من قبل : لا النجاح ولا المال ولا النفوذ.

قد علمته فضلا عن ذلك سمة نادرة هي الصبر ...

- ما رأيك في ذلك يا "كين"؟

- أسف . فقد شرد ذهني قليلا .

ثم عاد إلى الحديث لكنه توقف على مدى بضع دقائق لينظر عن بعد إلى تلك التي سوف تصبح في القريب العاجل - أو هذا ما كان يأمله على الأقل - خطيبة رسمية له.

انقضت ساعتان ، بدأت "ميللي" بعدهما تفقد اهتمامها بالحفل خاصة وأنها قد فطنت إلى أن الأمر الوحيد الذي يثير فضول المتحدثين معها هو طبيعة علاقتها بـ "كين" .

استبد بها الملل فتوجهت إلى المكتبة بعيدا عن الجميع وكانت بها مدفأة متقدة . أعجبتها تلك الحجرة الانيقة الزاخرة بالكتب المرتبة على رفوف حول الحجرة وبينما هي تطالع بعض أسماء الكتب سمعت

قعقة كعبين على الأرضية الخشبية.

رات امرأة بالغة الأناقة ذات شعر أحمر ترتدي ثوبا باللون الأخضر الزمردي تتقدم نحوها قليلا ثم تقدمت إلى 'ميللي' وصافحتها وهي تهز شعرها بأناقة وتقول:

- أنا 'جيل ويب'.

- 'كاميلا بليك'.

- أعلم . إنني سعيدة بلقائك واتحين فرصة وجودك بمفردك . أين 'كين'؟

- بحجرة الاستقبال يتناقش في اقتصاديات البلاد.

أحست وهي تتكلم بوجود تلك الذبابة التي بوجهها فرفعت إصبعها مررته فوقها.

قالت 'جيل' متعجبة بمرح:

- أمر واضح.

وطافت نظرتها بالمرأة الواقعة أمامها حتى استقرت فوق الخاتم:

- مدهش ! ساحر!

- شكرا.

- تحرقت رغبة في أن اتعرف على المرأة التي يريد 'كين' الزواج بها...

شاب نبرتها قدر كبير من التهكم . استطردت تقول:

- إنك سعيدة الحظ جدا.

- أعلم ذلك جيدا.

لو كانت 'جيل ويب' هي عشيقة 'كين' لم يثر ذلك أدنى قدر من

الحيرة في نفس خطيبته الجديدة وإن كان هذا الحوار قد ايقظ بداخلها رد فعل دفاعي . شعرت بأنها في حالة الترقب وإن لم تعلم لذلك سببا.

- هل صحيح أنك أويته بشجاعة وأنه وقع في غرامك؟

- مجرد أقاويل.

دخل 'كين' الحجرة فجأة في حلتها القاتمة وشعره المتموج الأنيق لتلتقي 'ميللي' ببريق عينيه الزرقاوين . لن يمكنها قط استيعاب فكرة أن يصبح هذا النموذج المذهل للرجل زوجا لها . لأن تلك الفكرة - في تقديرها - أمر لا يمكن تصديقه.

- إنني سعيد بأنكما قد تعارفتما أخيرا . كيف حالك يا 'جيل'؟

- على خير مايرام واهنك يا 'كين'.

- شكرا .

وضع ذراعه حول كتفي 'ميللي' جاذبا إياها بشدة إليه بينما كان يسال ذات الشعر الأصحر :

- أين تقضين عطلات العام الجديد؟

- سوف أرحل غدا إلى الجنوب . أريد أن أقوم بجولة بالمنطقة .

هل قابلت 'فيل' ثانية؟

- لا.

- إنه يتحرق شوقا إلى أن يسمع منك مغامراتك . لقد اكتسبت شهرة مذهلة في غضون أيام معدودة .

- سوف تنتهي بذات السرعة التي بدأت بها ... 'كاميلا' ما رأيك في

أن نكتفي بهذا القدر ونمضي الآن؟

- اوافق . وإنني سعيدة جدا بالتعرف عليك يا 'جيل' .

- شكرا . شعور متبادل ، تهاني لكليهما . هل تأجل موعد الزواج؟

توجه ثلاثتهم إلى القاعة الفسيحة ورمق 'كين' خطيبته بنظرة استفهام قائلا:

- 'كاميلا' هي التي سوف تحدد الموعد وأؤكد مسبقا قبولي التاريخ الذي تحدده .

تقوس حاجبا 'جيل' ونطقت عيناها بالدهشة بينما قالت ضاحكة:

- هل هذا ممكن يا 'كينيث هولويني' أن تكون قد وقعت في الغرام

بحق؟

أجابها دون شبهة تردد:

- نعم .

وللمرة الأولى منذ أن دخلت هذه الشقة التي أقيم الحفل بها أحست

'ميللي' موجة سعادة تغمرها . قادها 'كين' وسط الجميع حتى يتوجها

إلى سيدة المنزل معبرين لها عن جزيل شكرهما . أوقفه عدد كبير من

الرجال والنساء أثناء مرورهما من أجل حديث ما عمل 'كين' على

اختصاره إلى أقصى حد ممكن . مما حدا بـ 'ميللي' إلى أن تقول معلقة

على ذلك:

- لا أستطيع أن أصدق أنك تعرف كل هذا العدد من الناس!

- أمر غاية في البساطة . ولدت في 'كولورادو' وتلقيت تعليمي بها .

وعندما التحقت بالجامعة وطدت علاقات صداقة مع عدد كبير من

زملائي على اختلاف النوعيات والميول . وظللنا على اتصال بعد

تخرجنا . ثم التقيت أثناء عملي لدى 'ولتر' برجال الأعمال في

مجالى الصناعة والتجارة . وإذا أضفت إلى ذلك الرحلات التي قمت بها في جميع أنحاء العالم والتي التقيت خلالها بما نطلق عليه المجتمع النفاث لن تدهشي قط لرؤيتي أثرثر مع جميع هؤلاء الممثلين هنا .

اتخذتا مكانيهما بالسيارة الـ 'لينكولن' أخيرا وامتدت يده إلى

'ميللي' . يضمها إلى صدره في عناق حار . ارتعشت برذا في معطف

الأحلام لكن 'كين' لم يلحظ ذلك بل قال مقترحا:

- لنذهب إلى المطعم الذي أفضله . أمل أن يحوز إعجابك . إنه

مطعم 'لوي كاجان بايو' المشهور بمطبخه الأوروبي المتميز .

- أعرفه وأتردد عليه كثيرا .

- حقيقة ؟ هل رايت كيف أننا متفقان في أذواقنا : القهوة ورجال

الثلج والمطبخ الأوروبي والكتب والبحر...

قالت معترضة وهي ترفع ياقة معطفها:

- لم أكن لأعلم أنك تحب البحر .

سألها ضاحكا :

- كيف ؟ ولماذا هذه النبذة اللاذعة ؟

- لأنني أريد أن أؤكد لك ما سبق أن رددته على مسمعك مرات عديدة .

لا يعرف كل منا عن الآخر سوى النادر القليل بينما أن أول مبادئ

الحكمة تقتضي الثاني في عقد القران .

ثم تنهدت مستطربة بصوت أكثر ارتفاعا :

- لم أعرّف أحدا في هذا الحفل . ولم أفهم شيئا مما كان يقال في

حضورى . إنك رجل أعمال ذو نفوذ تلتقي بأصحاب المليارات بمثل

سهولة مواعدة الجميلات . إننا بعيدان جدا الواحد عن الآخر ولن يمضي وقت طويل حتى تندم على لحظة ارتباطك بي .
- "كاميللا" عندما يعقد قراننا سوف تتعرفين على جميع هؤلاء الأشخاص الذين رأيتهم اليوم .

- ليس الأمر بهذه السهولة التي تتحدث بها !
رات ألا تواصل الحديث عن هذا الموضوع الشائك حتى لا تفسد الأمسية . توقفت السيارة أمام المطعم الأوروبي عند منتصف الليل تقريبا . لكن ذلك المطعم كان لا يزال مزدحما برواده المعجبين باطباقه واصنافه .

صاحت الموسيقى وعلت المناقشات بينما أسرع النذل والنادلات في زيهم الأخضر والابيض يلبون طلبات الزبائن . أقبل رئيس القاعة مبتسما نحو القادمين الجديدين :

- طاب مساؤك يا سيد "هولوويني" . مائدتكما خالية .
- شكرا يا "تيد" .

كانت المائدة في انتظارهما بأحد الأركان الهادئة البعيدة عن الزحام . ترامت إليهما رائحة الأسماك المقلية الشهية ورائحة التوابل المنبعثة من الأصناف الأخرى . جلست "ميللي" تراقب انعكاس لهب الشموع على وجه "كين" وأحست بمشاعر الندم تعتصرها ... فقد كانت تفضل أن تكون معه في بيتها مستلقيين بالقرب من المدفأة ويد أحدهما بيد الآخر .

مد يدا وضعها فوق يديها وقرأت في عينيه هوى ذاب له فؤادها .
- إنك مذهلة في هذا الثوب يا حبيبتي !

- شكرا لك يا "كين" . إنه الثوب الذي انتقيته لي بنفسك .
- أعلم . وأود أن أقدم لك العالم بأسره . أعبد ذلك البريق الذي تتوهج به عيناك لتلقي أقل الهدايا ... مثل ذلك الجرس الصغير المتواضع .

- إنك على علم تام بالسعادة التي جلبتها علي .
قال بنبرة الحالم :
- سوف نبني بيتا في الحي الذي يقع عليه اختيارك . لكن لابد أن ننتظر قدوم الصيف . كل هذه الأعمال المتأخرة وتلك التعاقدات المعلقة والإجراءات التي توقفت فجأة ...

سقط ظلان في ذات الوقت على المائدة قبل أن تسمع مزحا :
- "كين" ! يا لها من مصادفة !

اقترب منهما رجل وامرأة . نهض "كين" حيث قام بعملية التعارف . ثم انخرط الرجلان في مناقشة حول شركات النقل في "كولورادو" استغرقت فترة من الزمن . قال "كين" بعدما أصبحا بمفردهما ثانية :

- في المرة القادمة سوف أشرط على "تيد" إخفاءنا في قمرة بعيدة .
- حبيبي ... كما قالت صديقتك أصبحت مشهورا .

رمقها بنظرة ملحة أحست معها وكأنها قد جردت من ثيابها فتوردت وجنتاها . سالها :

- هل فكرت في الجهة التي سنقضي فيها شهر عسلنا ؟
قالت :

- انتبه . النادل قادم . ومن الأفضل أن نستقر أولا على ما سوف نطلبه .

- ساطلب طبقي المفضل ... ما طبقك المفضل ؟

انتظر قليلا مخاطبا 'ميللي' بنظراته المتسائلة ثم نطقا في ذات اللحظة باسم نفس الطبق وانفجرا ضاحكين فقال 'كين' معلقا :

- اعتقد أنك ترين بوضوح الآن أن كلا منا قد خلق من أجل الآخر .

تألف ذلك الطبق الأوروبي من الأرز والجمبري والمحار والدجاج والتي أعدت بمهارة تؤكد جدارة ذلك الطباخ المتخصص .

لدى العودة إلى منزل 'كاميلا' اشعل 'كين' الأغصان في المدفأة وجلس فوق الطنفسة يتأمل 'ميللي' التي تألق شعرها على ضوء لهب المدفأة . سالها برفق :

- هل تعلمين لماذا صممت على أن تختاري ذلك القميص الأسود؟

فكانت منتبهة إلى نظراته الحانية :

- أرى إلى أين تتجه أفكارك .

- بسبب الزمام المنزلق .

ثم أمسك بالقفل وفتح الزمام المنزلق من أعلى إلى أسفل أي من قفا العنق حتى الخصر أو أدناه بقليل . انزلق الثوب من فوق الكتفين وظهر الدانتيل الأسود . بدا 'كين' يقبل المواضع العارية حتى استسلمت لموجات السعادة التي غمرتها في قربه

عندما استيقظت بجانب 'كين' فوق فراشها بعد بضع ساعات كانت شوكها ومخاوفها قد طفت إلى السطح . تنهدت وسرعان ما مزق صوت 'كين' السكون :

- 'كاميلا' ! لماذا الحزن ؟

- لست حزينة يا حبيبي لكنني أود لو أنك لا تتعجلني للإسراع

بإتمام الزواج ... إنك معتاد الحصول على كل ما تريد وبأقصى سرعة ممكنة . لكنني أرجوك أن تفكر في الأمر ثانية قبل أن تتخذ القرار . أرجوك مرة أخرى أن تتمهل قبل أن ...

- تخشين من ألا تحبيني بعد الزواج ؟

- أه ! لا !

خرجت صيحة الاعتراض بقوة مذهلة . هبت 'ميللي' جالسة وقد انزلق غطاء الفراش إلى خصرها بحيث أصبح صدرها عاريا تماما دون أن تنتبه إلى ذلك .

- حاول أن تفهمني يا 'كين' . ما يخيفني هو أن تتوقف أنت عن حبي . وأن تجد نفسك مرتبطا بامرأة مثلي قاصرة في شتى النواحي . سوف تغيق يوما ما وتراني بما أنا عليه فتتمنى لي الموت لأنني قد سمحت لك بأن تتزوجني . يمكنني اليوم مواجهة فكرة الافتراق عنك لكن ذلك سوف لا يكون محتملا فيما بعد . إنك تقتصر كما لو كنت مدفوعا بنزوة ما فيما يتعلق بامر الزواج بي ! لتعلم أنه في اللحظة التي أقرأ فيها في عينيك أنك موشك على مساعلتي سوف يقضي الخوف علي .

- كلام غريب لا محل له .

- على الرغم من أنك تعرفني حق المعرفة وتعلم إلى أي مدى يبلغ خلجي وتحفظي ... كان حفل الأمس لي بمثابة امتحان . وإذا كنت سوف أواجه طوال حياتي معك هذا النوع من الاحتفالات فلن يمكنني الصمود أو المقاومة .

- ولماذا الضغط على نفسك ؟ كوني ذات الشخصية اللطيفة التي

تعرفها الإرسالية . لا يطالبك أحد بأن تكوني امرأة مختلفة عن تلك !
 - بل ساكون مطالبة بذلك ! ثم إن هذا لا يمثل العائق الوحيد الذي
 اتصوره في حياتنا معا ! لأنني أخشى قبل كل شيء ... لا . لا تقطب
 حاجبك يا "كين" . أخشى قبل كل شيء آخر أن يأتي اليوم الذي تراني
 فيه كما أنا ... لا جميلة ولا ذكية وأن تقع في -حب امرأة - كأولئك
 اللاتي رأيتهن هذا المساء رائعة الجمال مكتملة الرشاقة والأناقة
 والفتنة .
 - كفى ! أنت أجمل جميع من كن في هذا الحفل . وكل ما يزودك بهذه
 العقد الواهية هو إحساسك الدائم بتلك الندبة . يا له من شعور غريب
 ! إن أحدا لم يلحظها على الإطلاق . سوف تشعرين بالراحة على الفور
 وسوف تكونين أول من ينساها . كل ما في الأمر أنك ترفضين أن تبدلي
 مثل هذا الجهد وتفضلين على ذلك الانطواء الذي يحول بينك وبين
 التفتح والانطلاق والبهجة .
 انخرطت في التفكير أسفة أنها لم تجد لديه أذنا مصغية لمخاوفها
 التي أصر على استبعادها . قالت :
 - اعطني مهلة .
 - لا اتعجلك في شيء . لو كنت قد اصغيت إليّ لكنا قد تزوجنا
 بالفعل . المشكلة في رأسك وليست في رأسي . يخيل إليّ أنك كنت
 تفضلين أن أتبع معك الأسلوب الكلاسيكي . حقيقة أنه أسلوب مؤثر
 لكن لسوء الحظ أن وقتي لا يتسع لشيء كهذا . ولا يمكنني أن أكرس لك
 سوى جزء من أيامي . ومع ذلك أتمسك بالتأكيد لك أنني أحبك من كل
 قلبي وسوف أحبك ما حييت .

نسيت "ميلي" مخاوفها مؤقتا .

#

استقلت بعد بضعة أيام الطائرة مع "كين" متوجهة إلى "دلاس" تلبية
 لدعوة أحد الأصدقاء وتحت "كين" الفرصة كي يريها فيلته هناك . كانت
 عبارة عن منزل مشيد بالطوب الأحمر مكون من طابقين في مجمع تبلغ
 مساحته بضعة أفدنة ويتمتع بحراسة مشددة من الخدمات الأمنية
 عند البوابة الخارجية .
 أعجبتها الفيلا من الداخل نظرا لتناسق الألوان من مشتقات الأزرق
 التي طليت بها . وشغل حجرة النوم فراش وثير .
 - ألا تشعر بالضيق بداخل هذه الحجرة ؟ هذه الحجرة وحدها تربو
 مساحتها على مساحة شقتي بالدور الأرضي .
 - قضيت صباي كله أشارك أخوي حجرتي . والآن ينبغي علي أن
 أتمتع بقدر من الاتساع والهدوء والخصوصية . أحلم بكل هذا يا
 حبيبتي .
 نظرت إليه فاكتشفت فيه رجلا جديدا أكثر قربا منها . أخذها بين
 ذراعيه وقبلها بحرارة :
 - سوف أجعلك تزورين المنزل ... بعد لحظة قصيرة .
 فقالت هامة :
 - نعم . بعد لحظة قصيرة ... طويلة .
 قضى اليوم التالي بأكمله في اجتماعات مع بعض رجال الأعمال .
 لكنهما تعشيا معا ثم عادا بعد ذلك إلى "كولورادو" وبعد ذلك استقلا

الطائرة إلى كانساس سيتي لقضاء عطلة عيد رأس السنة . كان
لـ"كين" بتلك الناحية مركز قيادته العمومية ، وكان يمتلك خارجها منزلا
رائعا على طراز المستعمرات تحيطه أشجار القرو ذات الأعوام المائة من
العمر . دهشت "ميللي" أمام هذه الأبعاد الفسيحة لهذا المنزل .

- كنت أحلم منذ زمن بعيد بقصر على هذا الطراز أعيش فيه
بحريتي ! أحب هذا المنزل وأمل أن يعجبك . ينبغي أن يكون لدينا فراغ
كبير من أجل الأطفال ولا أرى حاجة إلى أن أسالك : هل تريدان إنجاب
عدد منهم ؟

- ألا ترى .. حتى أنا لا أدري إذا كنت تريد أطفالا أم لا !

- أريد منهم عشرة .

غادرا السيارة ودخلا المنزل .

- عادة ما تكون هنا مربية تعتني بي لكنني منحتها عطلة هذا
المساء . أردت أن تكوني لي وحدي .

لم يكن داخل المنزل أقل جمالا ولا سحرا من خارجه . أحببت فيه
المكتبة الزاخرة بالمكتب بوجه خاص . ازدان المكتب بعدد من الكؤوس
والميداليات الرياضية إذ كان "كين" بطلا في رياضتي السباحة والتنس .
دخلا المطبخ الفسيح وأخرج "كين" من الثلاجة بعض المشروبات
المنشطة للشهية . سالها وهو يقدم لها كاسا :

- لماذا تقطين حاجبيك ؟

- أفكر فيك وفي الإرسالية . أراك هنا ويتعذر عليّ الجمع بين
صورتك .

- ومع ذلك أنا ذات الرجل الذي أصبح يتقن نقشير البطاطس

بالإرسالية والذي يحلم بأن يفوز بك ربة لهذا البيت .

دوى رنين ناقدوس الهاتف مقاطعا حديثهما . وبينما كان "كين"
يجيبه تابعت "ميللي" جولاتها الكشفية للمنزل . لم تتصور قط أن هذا
الرجل الذي أتاه من الضباب مرتديا تلك الملابس الممزقة يمتلك كل
هذه الثروة فضلا عن عدد من الشركات والمصانع الكبيرة . كيف
يمكنها الارتقاء إلى هذه المكانة التي أحرزها ؟ أمر مستحيل ! عالمان
مختلفان تماما من غير الممكن أن يمتزجا بلا فوارق .

حتى لو كان يحبها - وهذا ما لا يحتمل شكا من جانبها - فلن
يسعه إلا أن يضيق بمرور الزمن بزوجة على غير مستواه . واضح أنه
رجل طموح ! ومن حقه أن يامل ويحلم . ومما لا شك فيه أنه يترقب
دورا سياسيا مهما . كيف من الممكن أن تبدو بجانبه ... إخصائية
التغذية المتواضعة ابنة "كولورادو" ؟

- كاميللا !

كان "كين" قد أنهى مكالمته الهاتفية وجاء يبحث عنها . حين رآته
علمت أنه بصدد الإقضاء لها بنبا غير سار .

معا أثناء إعدادي حقيبتني .

وكان هذا الحديث في واقع الأمر عبارة عن عدد من المكالمات الهاتفية أجراها أو تلقاها وبعد ربع الساعة أصبح متاهبا للرحيل حيث رافقته 'ميللي' حتى الباب . قال :

- هذا جهاز الأمان الذي يتعين عليك توصيله أثناء الليل وسوف تجددين بنوثة التليفون جميع الأرقام التي قد تحتاجين إليها في حالة الضرورة . يؤلمني أن أتركك بهذه السرعة يا حبيبتي . وقبلها قبلة سريعة ثم انصرف .

لم يعد إلا قبل الموعد المحدد لحفل ليلة رأس السنة بساعة واحدة . انقضى الأسبوع بعد ذلك وفقا لنظام مرهق بالنسبة إلى 'ميللي' ، لكن ليس بالنسبة إلى 'كين' الذي كان متاهبا دائما . عادت يوم الاثنين التالي إلى 'كولورادو' لمزاولة عملها بالمدارس وطار 'كين' إلى 'دلاس' . افترقا فترة طويلة لأن تركة 'وولتر' تطلبت إجراءات طويلة لنقلها إلى 'كين' الذي يصبح بذلك أغنى رجل صناعة في 'كولورادو' .

لحظت 'ميللي' فيه في ذات الوقت بضعة تغيرات .. قللت اتصالاته الهاتفية وأصبحت محادثاته أكثر إيجازا . تزايد بداخلها إحساس مر بالوحدة لم تعرفه قط قبل لقاءها بـ 'كين' . ذهب إلى 'دنفر' يوم الجمعة لقضاء بضع ساعات أملت 'ميللي' أن تكون ودية ممتعة ، لكن 'كين' اصطحبها خلالها إلى حفل ما . وأخيرا حل يوم السبت في 'كولورادو' وتجددت معه الآمال في ليلة ودية . جلست بالقرب من المدفأة ورأسها مستند إلى كتف 'كين' . قررت أن اللحظة المناسبة لوضع النقط على الحروف قد حانت :

الفصل العاشر

قال :

- يا للضيق ! ينبغي علي أن أسافر . مصنعي في 'دلاس' شبت فيه النيران .

- اه . لا !

- أرجو أن تكون الخسائر محدودة لكنني أريد التأكد من ذلك على الطبيعة . ساستقل الطائرة مع اثنين من رجالي . تحبين أن تأتي معي؟

- لن أتسبب لك إلا في الإحراج . سانتظرك هنا .

- ساعود بأقرب ما يمكنني . لن يضايقك انتظاري هنا .

- لا تقلق بشأنني .

- سوف اتصل بك هاتفيا . تعالي معي إلى الحجرة حتى نتحدث

- حبيبي ... كانت هذه الأيام الاخيرة بمثابة تجربة مصيرية بالنسبة إليّ . كلما انقضى الوقت قلت فرص لقائنا . لا يمكنني الاقتناع بفكرة الاستقالة من عملي حتى اجلس بجوار المدفأة انتظرك او اطير معك من ان لآخر في رحلة خاطفة .

- اعلم جيدا ان هذه الحياة ليست سهلة عليك حاليا . لكن ارجو ان تنتظري قليلا . لانه حين انتهي من إجراءات نقل الشركة واطمئن إلى استئناف مصانعي معدلات إنتاجها الطبيعي سنعيش حياة أكثر هدوءا وأقرب إلى أسلوب حياتك المعتاد .

هزت "ميللي" رأسها بتصميم وخلعت الخاتم الماسي من إصبعها .
- تريدني لأنني كنت بمثابة رأس مال لك . لن يمضي وقت طويل حتى تراني عبثا عليك وهذا ما لا أريده .

بهت وشحب وجهه لسماع ما قالت :
- كيف تجرئين على أن تتصورى شيئا كهذا ؟ ألا يعني لك ما تقاسمناه - معا أنا وانت - شيئا الآن ؟

- احبك لكنني واثقة بانه ليس مقدرا لنا ان نعيش معا كزوج وزوجة . حاولت مرارا وتكرارا ان اؤكد لك ذلك لكنك كنت تتهرب مني وتمزج وتسخر من رأيي .

- ثم ماذا ... ؟
- اسمعني ! لك ثلاثة منازل بينما ان واحدا يكفيني ويزيد . ما انا بحاجة إليه هو زوج يعود إليّ كل مساء ، زوج يرعى اولادي ويربهم معي ... ليس رجلا يطير من مكان إلى آخر كي يقول : "نعم" . او يقول : "لا" ويقفز من منزل إلى آخر ويشغل كل وقته في مباشرة اعمال مرهقة

بينما لديه من الاموال ما لا يستطيع ان ينفقه و...

نظر "كين" إلى الخاتم الماسي الذي براحه يده ونهض . ارتسم الغضب واضحا على وجهه الذي توترت ملامحه . قال بنبرة فاترة :
- ينبغي علي ان ارحل من هنا . هل تسمحين لي بقبلة قبل ان امضي ؟

فقالت هامسة :
- بالتأكيد .
علمت انها تسرعت في نطقها بما قالت وبالالتهامات التي وجهتها إليه وكانت ستداري الخاتم الماسي عنه لو انه قد توفرت لديها الجراة الكافية . لكنها اكتفت بان طوقته بذراعيها بينما سرت دموعها غزيرة فوق وجنتيها .

قال بنبرة حانية :
- تبكين ؟ لكن لماذا ؟ لانك تقحمين نفسك في افكار غريبة لا اساس لها .

- لا ارى غرابة في ان اتمنى زوجا تقليديا يعرف كيف يقسم وقته بين عمله واسرته . "كين" اعطني مهلة اخرى اتعود فيها ...
قبلها بحرارة جعلتها تلهث وتنقد رغبة في ذات الوقت . خلع معطف المطر الذي كان قد ارتداه توا وهو يقسم واحتوى "ميللي" بين ذراعيه حيث حملها حتى الأريكة .

لم يكن غضبه قد انصرف تماما والى عليه نفاذ صبره ان يمارس الحب مع تلك المرأة التي تعترض على حبه . قال من بين أسنان صارة :
- إنك فظيعة . سوف تفوتني الطائرة ! تواجهيني بمثل هذه

التصورات وتبكين متظاهرة بحبك لي ، ثم تقولين بعد ذلك : إنني غير واثق بمشاعري وإنني قد أهجرك صبيحة عقد القران . اي هذيان هذا؟

قالت وقد تماكنت اعصابها :

- هيا امض . لا ينبغي أن تتغاضى عن هذه المواعيد المهمة التي تستدعيك بعيدا عني .

- 'كاميلا' يستحيل علي أن أكون بقربك دائما كما كان الحال في الأيام الأولى للقائنا . وقد حذرتك من ذلك . والآن وحيث إنني أمقت أنصاف الحلول كما أمقت الغموض والانتظار على غير هدى ... اطلب منك إجابة صريحة محددة : ترغبين في الزواج بي؟

ترددت لحظة وقد تحطم فؤادها ثم هزت رأسها :

- لا يمكنني أن أقول لك : 'نعم' اليوم . الوقت مبكر جدا .

- اعتبر إجابتك 'لا' إذن .

بدت عيناه بمثل زرقة زوبعة وتوترت عضلات 'فكيه' . قال بعد قبلة سريعة على شعر 'ميللي' :

- 'كاميلا' ... وداعا !

الفصل الحادي عشر

أيقنت 'ميللي' - وهي تراقب ظلّه الأسود منعكسا فوق الجليد بينما كان يبتعد عن بيتها يصاحبه نباح 'قويو' - أنها قد أصابت في إرجاء إفادته بقرارها . ومع ذلك وعلى الرغم من معاناتها الشديدة هذا الغراق كانت تأمل أن يعود 'كين' إليها تأكيدا لصديق مشاعره نحوها .

لو أنها لم تره ثانية فهذا سيكون راجعا إلى أنه لا يكن لها حبا دائما وأن زواجهما لابد أن يبوء بالفشل .

لم تتضاءل ألامها بأي قدر على مدى الأسبوع التالي لهذه المواجهة بل تفاقم . لم تفارق صورته ذهنها أبدا بل طاردها بلا لحظة توقف . علمت من الصحف أنه قد نقل مركزه الرئيسي إلى 'دنفر' وأنه يفكر في أن يستقر بها .

حدث في إحدى الأمسيات أنه بينما كانت 'ميللي' تنعشى مع

صديققتها "كلير" بمطعم "لوي" وبعدما طلبتا ذات الطبق الذي كانت "ميللي" قد تناولته مع "كين" في هذا المطعم رأت "كين" يدخل قاعة الطعام وبصحبه شقراء ساحرة الفتنة . اعتصر قلب "ميللي" وكاد أن يتوقف تماما . شعرت وكان الموسيقى قد كفت عن عزف الحانها وأن جمهور المرتادين سكت عن الحديث وأن العالم قد توقف كله .

بدا "كين" أكثر طولاً وسمرة وأناقة ... أي أنه كان أكثر جمالا مما ارادت أن تعترف به .

رأت نظراته تستقر عليها . ثم بعد بضع كلمات قالها لمرافقته . واومات له براسها ، تقدم نحو مائدة "ميللي" التي اسرعت تقول لصديققتها :

- "كلير" أرجو أن تتركيني لحظة .

- ماذا ؟ أه ... نعم ساعود عندما أراك بمفردك .

ووصل "كين" في اللحظة التي اختفت الصديقة فيها .

- كيف حالك ؟

فقال "ميللي" وهي تخفي يديها تحت المائدة :

- على خير ما يرام . علمت أنك سوف تنقل مركزك الرئيسي .

- هذا صحيح . كذلك قمت ببيع المنزل الكبير الذي في "كانساس" .

لم يعد يعجبني .

حاولت في دهشتها أن تفهم معنى لهذه المعلومة لكنها اخفقت في ذلك . وإذا أنهلها أنه لم يواصل الحوار معها قالت هامسة :

- سررت برؤيتك .

- وأنا أيضا . وداعا يا "كاميلا" .

وبعد بضعة أيام - ولم يزل اثر هذا اللقاء مع "كين" باقيا في نفسها - راته مرة أخرى في أحد الطوابير المنتظرة امام أحد المسارح في انتظار فتح الأبواب . كانت بصحبة "ميللي" إحدى زميلاتهما بالإرسالية وتدعى "ماري" وكان "كين" واقفا بجوار الشقراء الحسناء . قال متظاهرا بشديد الارتياح :

- طاب يومك يا "كاميلا" . اقدم لك "كيت ماديسون" . "كيت" هذه "كاميلا بليك" .

قالت "كاميلا" بنبرة بالغة الاكتئاب :

- كيف حالك ؟ وانت يا "كين" ؟

- لدي مشاغل كثيرة خاصة بعد أن نقلت شركتي إلى "ننفر" في "كولورادو" .

فصلتهما حركة الطابور الواحد عن الآخر . زادت تلك اللحظات - التي تبادلا فيها الحديث - نفسها مرارة . في أقل من الشهر اهتدى إلى بديلة لتلك التي كان يدعي حبها . اعتصرت هذه الحقيقة قلب "ميللي" .

ففي بيتها لم تفتح عينيها دون أن ترى شبح "كين" هنا وهناك : امام النافذة او فوق الأريكة او مستلقيا على الأرض امام المدفأة أو نائما في فراشها . علمت من الاخبار التي نشرت عنه بالصحف أنه من المقرر أن يطير إلى اليابان في شهر إبريل . هل ستكون تلك الشقراء بصحبته ؟ "ميللي" على استعداد لأن تبذل الكثير في مقابل أن تحل محلها . فلم يزلها الفراق إلا تمسكا بحبه وحاجة إلى رؤيته وإلى لمسه وإلى الحديث معه وإلى الإحساس بلمس يده لها والالتقاء بنظرات عينية

الزرقاوين وسماع صوت ضحكه ...

كيف سمحت الأقدار التعسة بلقاء بينهما مرتين خلال أسبوع واحد . وهل تسمح بمزيد من هذه اللقاءات ؟ تساءلت : هل يعني أنه يعيش في كولورادو وليس في دنفر ؟ عادت إلى مطعم "لوي" مع صديقتها "ماري" في إحدى الأمسيات وحين جلست إلى المائدة وقع بصرها على "كين" و"كيت" جالسين على قيد مائدتين منهما .

قالت "ماري" بنبرة تعجب :

- أه - حبيبك السابق ثانية ! من يراه يعتقد أنه يقتفي أثرك .

- أه - لا ! لكن قلمي لن تطأ هذا المكان ثانية ..

قالت ذلك وهي تلتفت بعيدا ثم تستدير مغادرة المكان .

- يا للخسارة ! الطعام هنا لذيذ ... تعالي ! إنه جاهز من أجلك .

سالت "كاميللا" وهي تلقي بنظرة من فوق كتفها :

- نعم ؟

ولشدة دهشتها أن رأت "كيت" تقترب منها بدون "كين" . كانت ترتدي

ثوبا مكونا من قطعتين باللون الأزرق القاتم وانسدل شعرها فوق

كتفها محيطا وجهها ذا القسمات الرقيقة جاذبة إليها جميع الأنظار .

رأت "ميللي" أنها الصلبة المثالية لـ "كين" .

قالت "كيت" بابتسامة عذبة :

- طاب يومك . "كاميللا" .. هل كل شيء على ما يرام ؟

وأجابتها "كاميللا" بنبرة غاضبة :

- نعم . ومن المستحيل أن أكون أفضل حالا .

- أه -

ترددت "كيت" قليلا وقد اثرت تلك النبذة العدوانية فيها ثم سلكت طريق عودتها دون كلمة أخرى .

قالت "ميللي" مخاطبة صديقتها :

- هيا . سنرحل من هنا .

#

اجتاحت المدينة في شهر فبراير عاصفة ثلجية عاتية هبت رياحها من الشمال محملة بالجليد وظلت تدوي ليلا ونهارا . اضطرت المدارس والمحال إلى أن تغلق أبوابها لحين إخطار آخر . رأت "ميللي" فجأة وقد توفر لديها وقت الفراغ أن تتوجه إلى الإرسالية متطوعة لإسداء يد العون فلم تعد إلى هناك منذ أيام الأعياد حيث لم تكن هناك ضرورة لذهابها إلى هناك .

توجهت إلى هناك رغما عنها لأنها كانت تخشى الألم لذكرى "كين" الذي كان يذهب ويعود معها ويقوم بتقشير البطاطس أو غسل الأطباق والأواني .

استقبلتها لدى دخولها الدار تحية "شارلي" المعتادة :

أهلا يا جميلتي .

ابتسمت له وعلقت معطفها فوق المشجب وتوجهت إلى المطبخ الذي تسلت من بابه رائحة شواء شهية .

دفعت الباب لتدخل لكنها تسمرت في مكانها كما لو كانت قد تحولت إلى كتلة من الجليد . استبد بها الغضب بعد ذلك حتى امتلقت وجنتاها . "كين" ارتدى حلة بيضاء ووقف يقلب محتويات قدر كبير

مستخدما في ذلك ملعقة خشبية وكانت "كيت" واقفة بالقرب منه تقطع جزرا . وإذ رأى "كين" القادمة الجديدة رمقها بابتسامة مواصلا عمله ثم خاطب الواقفة بجواره بشيء ما نهضت على اثره واخذت منه الملعقة .

سال "ميللي" بنبرة فاترة :

- اتسمحين لي بأن أقول لك كلمة على انفراد ؟

- بالتأكيد .

استدارت وتوجهت نحو الدرج بخطى وثيقة . تبعها إلى هناك .

كان بالطابق الاول عدد من الحجرات المجهزة بالأسرة وبعض قطع الأثاث الضرورية التي تبرع بها بعض القادرين ومن بينهم "كين" . دخلت "ميللي" إحدى هذه الحجرات واغلقت الباب بعدما دخل "كين" .

- ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

- جلئت متطوعا في هذا الظرف الطارئ . هذه العاصفة تعد كارثة على الفقراء المعوزين .

- قسوتك تفوق كل حد يا "كين" . أنت الرجل المثقل بالعمل دائما وجدت الوقت لتأتي إلى هنا لإعداد الخضر وطهي وجبة لرواد الإرسالية ؟ لن أغفر لك ذلك أبدا .

سالها وقد استبد به الفضول :

- عم تتحدثين ؟ لم أرك قط على هذا القدر من الغضب الذي لا أعرف

له سببا .

- لقد افسدت حياتي كلية وتأتي إلى هنا الآن كي تتحدثاني في مملكتي وبصحبتك صديقتك الجديدة !

تلوى فم "كين" في ابتسامة ساخرة وبدأت نظراته تتأملها :

- وجود "كيت" هو الذي يغضبك ؟

- تماما .

- حبيبتي .. لقد رفضتني . تذكرني ذلك . وما أهمية اصطحابي

"كيت" إذن .

- تعلم جيدا كم أحبك .

- تحبينني ؟ وترفضين الزواج بي .

- بسبب مشاعرك نحوي وليس بسبب أحاسيسي . أحبك من كل

قلبي . ومن كل روحي ...

امتلات عيناها بالدموع واختنقت الكلمات في حلقها . وكلما

استبدت بها المشاعر اغاظتها الغرابة التي ألمت بموقفها مما انتهى

بإحساسها بالاضطراب .

سالته بين نسيج وآخر :

- هل ستتزوجها ؟

- لا . لن نتزوج و ... ماذا ! دموع ؟ تبكين علي ثانية ؟ لا جدوى من

ذلك على الإطلاق .

أخذ رأسها بين يديه وانحنى فوقها يطبع قبلة على شفتيها .

تعرفت "ميللي" في تلك القبلة على رقة فمه على شفتيها وعلى قوة

نراعيه المحيطتين بخصرها . حاولت مع ذلك أن تبتعد عنه لكن

محاولتها لم تكن جادة في الواقع :

- كيف تجرؤ على ...

- أجرؤ لأنني أحبك يا "كاميلا" . أحبك بشدة ولا أحب سواك .

وجاءت القبلية التالية أكثر حرارة وأكثر عنفا من أية قبيلة تلتقتها منه من قبل ، حتى إنها اضطرت إلى التشبث بكتفي "كين" بينما كان يلتقط أنفاسه وقالت له :

- إنني أحبك وقد أخطأت .

- وأنا أيضا يا حبيبتي أخطأت بأن تخلت عنك . لم أعود أن يرد لي طلب لكن رد فعلي كان أسرع من تفكيري . "ميللي" لنبدأ من جديد... هل تقبلين أن تتزوجيني ؟

- نعم . نعم . نعم ..

- لن تعودني إلى اتهامي بعدم التأكد من مشاعري وبالأشياء الغريبة الأخرى من هذا القبيل ؟
- أعدك .

- وسأحاولين اعتياد عدم عودتي في السابعة تماما من كل مساء وتوافقين على مرافقتي في رحلاتي إلى خارج البلاد في بعض الأحيان ؟

- سأفعل كل ما تريده .

- حسنا جدا . لنذهب إلى "كين" ونخبرها بأننا سوف نتزوج .
- حبيبتي .. ألا يمثل هذا قسوة عليها ؟ ربما يجب أن تهينها أنت لاستقبال مثل هذا النبا . ألا ترى ذلك ؟
أطلق ضحكة عالية أدهشتها :

- صدقيني يا حبيبتي سوف تسر لسماع هذا الخبر السعيد .
لم تفهم "ميللي" شيئا ومع ذلك تبعته لتلتقي بنظرات "كين" عندما تقدم "كين" منها لياخذ الملعقة الخشبية من يدها ويخبرها بنبا زواجه .

بدأت "كين" مغتبطة إلى أقصى حد وتوجهت إلى "ميللي" تقبلها بحرارة:

- طالما تمنيت أن ينتهي الأمر بتسوية جميع خلافاتكما وقد تم لي ذلك أخيرا ! يغمرني الارتياح الآن وموفور السعادة !

وهنا تدخل "كين" بقوله :

- "ميللي" ... أرى أنه من الأفضل أن أوضح لك شيئا ما .. "كين" هي شقيقتي . ألم تعلمي ذلك ؟
- أووه !

- ومع ذلك لم أخف عنك أبدا أن لي خمسة من الإخوة . والأخوات غير الأشقاء .

- لو كنت قد عرفت ذلك من قبل ! كلما أفكر في التعاسة التي أحطنتني بها بمرافقتك أحتك الشقاء !
وقالت "كين" شارحة الموقف :

- نظرا لغياب زوجي في رحلة عمل إلى أوروبا رأيت أن آتي إلى هنا لقضاء بضعة أيام مع أخي . علمت أن هناك بعض الخلافات الصغيرة بينكما فأردت أن أقرب ذات البين في ذلك اليوم بالمطعم ولكن ... فهمت الآن سبب تحفزك ضدي !

- أكاد أموت خجلا يا "كين" . هل تصفحين عني ؟

- أكدت "كين" لها بأسلوبها المرح أنها لا تكن لها أدنى قدر من الضغينة . ثم استعادت الملعقة الخشبية من يد "كين" ودفعته مع "ميللي" إلى خارج المطبخ قائلة :

- سوف تعطلانني عن العمل . الوجبة لا تنتظر ...

لم يعطها "كين" و"ميللي" الفرصة لأن تكرر عبارتها على مسمعيهما .
وفي بقعة هادئة وتحت نظرات الجميع ضم "كين" خطيبته إلى صدره
بحرارة ثم أخرج شيئاً صغيراً من جيبه . صاحت "ميللي" فرحة عندما
رأته :

- خاتمي الماسي ! كنت تحتفظ به في جيبك لحين أن تعيده إلي؟
- نعم . وكنت أعلم أنني سوف أعيده إليك سريعاً . "ميللي" لا
تخلعيه من إصبعك أبداً . عديني بذلك .
أجابته بقبلة لا تدع أدنى قدر من الشك في أنها سوف تحفظ
عهدها... وقد توهجت عيناها وتوردت وجنتاها من فرط السعادة التي
عاوتها .

نقمت